ریلام

obeikan.com

ريلام
قصص
محمد ناجي اليماني
الإسكندرية : حسناء للنشر
الطبعة الأولى : 2017
ISBN 978 -977-6535-83-1
رقم الإيداع : 22189 / 2017
ديوى : 813
96 ص، 20 سم

{ جميع الحقوق محفوظة © }

الإسكندرية، ج. م. ع
01018831361
03/ 5765777
المدير العام : غادل أبو الأنوار

المراجعة اللغوية : عمرو العزالي
الإخراج الفنى : أمير مصطفى

obeikan.com

ريلام

مجموعة قصصية

محمد ناجي اليماني

حسناء للنشر

obeikan.com

obeikan.com

إهداء

إلي

تلك التي شجعتني على الكتابة

وكانت تمدح خطي الرديء

وكلماتي التي تبدأ في رأس الصفحة

وتنتهي في آخرها

وحين كَبُرتُ عرفت أنها

لا تُجيدالقراءة ولا الكتابة

إلى حبيبتي الغالية (أمي)

obeikan.com

خاتمة مُسفر

(مُسفر) اليوم حديث القرية، الكل يتحدث عن مُسفر، وعن حياة مُسفر، من أحبوه شهدوا له بالخير والصلاح، أما البقية فشهدوا بعكس ذلك وأَلّفت عنه وعن حياتة الكثير من القصص التي حاول مؤلفوها أن يضعوا تفسير لما حدث له، أما زوجته (صفية) فكانت في وضع لاتحسد عليه، فاجعة تتلوها فاجعة، لم تتوقف الدموع حزناً على موته حتى صدمها خبر ماحدث له عند تغسيله، والآن ماذا تقول لهم ماذا تقول لكل الحاضرين الذين يريدون معرفة الحقيقة؟

obeikan.com

مـاذا تقـول لوالـدها وإخوتهـا وأبنـاء عمومتهـا الـذين حضـروا ليعرفـوا، لقـد كانـت فـي الماضـي تبكـي ألمـاً وقهراً ولكن كانت تكتم كل ذلك في صدرها ولاتحدث به أحداً خوفاً على زوجها وصورته واسمه أن يشوه وينبذه الناس في هذه القرية، فكيف تحدثهم الآن بعد موتـه هل سيلحق به العار إلى قبره؟ كم مرةً ذهبت إلـى بيت أهلها حالفة أن لا تعود إلى بيت زوجها مُسفر، ولكنها بعد أيام قليلـة تعود عنـدما يـأتي مُسفر لاسترجاعها، حتـى أهلها يضـغطوا عليهـا لكـي تعـود، ويـدفعونها إليـه عنـدما لا يجدوا سبباً مقنعاً لهجرها زوجها وبيته.

السبب لا شك كان موجوداً، لكن كيف تحدثهم بـه كيف تخبرهم عن سبب رحيلها من بيت زوجها.

لقد كان سبباً مخزياً ومحرجاً، ومؤلماً في الوقت نفسه، وبـرغم حنقهـا مـن مُسفر كانـت وفيـة لـه لـم تخبـر أحداً طوال تلك السنين فكيف تخبرهم الآن ولكنهم مصرون، يريـدون أن يعرفوا مـا الـذي كـان يفعلـة فـي حياتـة حتـى كانت نهايتة و خاتمته بهذة الطريقة المؤسفة والمأسأوية، مـا الـذي فعلـه هذا الرجـل حتـى ينتهـي بـه المطـاف فـي المجاري، إن الناس هنـا يؤمنـون بشدة بخـواتم الأعمـال، ولكن هذه ليست المشكلة، المشكلة أنهم يريدون معرفة هذة الأعمال التي أوصلت فاعلها إلى هذه الخاتمـة، وهم يريـدون الآن أن يعرفـوا مـن صـفية الأعمـال التـي كانـت

سـببـاً فـي انـزلاق مُسـفر مـن بـين أيـديهم ومن فوق مغسلة الأموات إلى خزان المجاري العملاق الـذي حفـره أهـالي القريـة فـي بـاطن الأرض والتـابع لمسجد القريـة.هذه القريـة تقع فـي منطقـة نائيـة واسمها قريـة المنـدر تتكـون هـذه القريـة مـن عـدد مـن البيـوت المبنية بالأحجار المستخرجة من الجبال المجاورة لهذه القرية، كانت هذه القريـة تعيش فـي حب وسلام، يعتمد سكانها علـى الزراعـة ورعـي المواشـي يشـتركون فـي أشـياء كثيـرة، بـل يشـتركون فـي كـل شـيء تقريبـاً مثـل عيـون الميـاة الجاريـة والمرعـى، ويتقاسـمون مشـاكلهم وهمومهم ويساعد بعضهم بعضاً في حلها.

مُسفر كان أحد سكان هذة القريـة لكنـه لـم يكن مثلهم، أو ربما هو الوحيد الذي انكشف سره من بينهم، كانـت لـه زوجـة جميلة تدعى صفية، تسابق عليها أهل هذة القريـة لخطبتهـا عنـدما كانـت عزبـاء وفـاز بهـا مُسفر، لقد كـان يحبها وتحبه، وكانوا يعيشون حياة أسرية سعيدة صـحيح أنهـم لـم ينجبـوا أطفـال لكـنهم بـرغم ذلـك كـانوا سـعدا يعيشون بحب وإخلاص، استمرت هذه العلاقـة بجمالهـا هذا حتى كان ذلك اليوم المشئوم كمـا تسميه صفية، فقد تكسـرت فـي ذلـك اليـوم أو بالأصـح تلـك الليلـة صـورة مُسفر الجميلـة فـي عينهـا التـي زينتهـا بالحـب وأطرتهـا بالوفاء طوال تلك السنين.

لقد اعتادت صفية على خروج مُسفرمن البيت كل ليلة قائلاً لها عندما تسألة عن سبب خروجه بأنه ذاهب إلى بيت فلان وبيت فلان، كل يوم يأتي باسم جديد، ولثقتها الكبيرة به لم تشك في أي شيء حتى كان ذلك الحوار الصادم مع نساء القرية فكل واحدة من زوجات أولئك الأشخاص الذين كان يسرد أسماءهم لها كل ليلة يقولون لصفية بأنهم لم يعلموا بأن مُسفر قد زارهم في أي ليلة من الليالي الماضية أو أن أي واحد من هؤلاء الأزواج قد خرج في الليل لمقابلة أحد، وما هو معروف في هذه القرية أن كل واحد يعود إلى بيتة بعد صلاة العشاء ولا يخرج إلا فيما ندر، انعقد لسان صفية ماذا تقول وكيف تفسر خروج مُسفر كل ليلة.

تظاهرت باللامبالاة، بل وغالطت النساء وغيرت الموضوع وعندما عادت إلى البيت لم تدري ماذا تفعل وبعد تفكير طويل حزمت أمرها وقررت أن تراقبه هذه الليلة وهذا ما فعلتة عندما ودعها خارجاً مثل كل يوم قائلاً لها بأنه سيذهب اليوم إلى بيت حسن.

وزوجة حسن بالذات أكدت لها اليوم أن زوجها ينام بعد صلاة العشاء مباشرةً، ماهذه المصادفة يا الله؟

"يا الله أجعله خير وعدي هذي الليلة على خير"، هذا ما قالتة صفية وهي تلبس عباءتها السوداء، تهم باللحاق بزوحها مُسفر.

إنها ليلة من ليالي الشتاء الباردة والمقمرة أيضاً، لا يقطع الصمت هنا سوى صوت الرياح وحفيف أوراق الشجر ونباح الكلاب بين الحين والآخر، شيء ما أو ربما أشياء كثيرة تحدث في هذه الليلة ، لكن الليل يخفيها تحت عباءته السوداء إلا مُسفر، قرر الليل أن يرفع يده عنه وأن يكشف سره ويفضحه.

مُسفر يقف بالقرب من مخبأه السري بانتظار إشارة البدء، لقد أخذ موقعة الاستراتيجي الدائم، وأخذ يتصفح بيوت القرية بيت بيت بانتظار الإشارة؛ لينقض على فريستة وليس بعيداً عن مكانه تقف زوجتة صفية، وهي الأخرى مختبئة تترقب وقوع الصيد في الفخ الذى نصبه لغيره، ماذا ينوي أن يفعل مُسفر هل يسرق أم أنه يخونني ؟ ما الذي ينتظرة في هذا المكان؟

ماذا يفعل ؟ أسئلة كثيرة تلح عليها ولا إجابة، دقائق الانتظار تلك أحرقتها، كادت أن تُجن، وتفكيرها يروح بها ويغدو، لحظة ترقب وبدا مُسفر في التحرك فريستة خرجت من مخبأها، الاشارة تقول ذلك.

انطلق بسرعة نحو الإشارة وزوجته تلحق به، حتى توقف أسفل أحد البيوت، تحت نافذة صغيرة يخرج منها ضوء خافت، وقفت صفية أيضاً تراقب الأحداث عن قرب، ومُسفر يدنو أكثر فأكثر من الأرض، حتى كاد وجهه أن يلمس التراب صدمة كاد تصرخ من هولها صفية ويفتضح أمرها وأمر زوجها، تمالكت نفسها وأخذت تتقدم نحو مُسفر : أيها الملعون، تختلس النظر إلى عورات أهل القرية عبر فتحة التصريف، هذا ما كانت تظنة صفية في البداية ولكن الذي ستكتشفة لاحقاً هو الصدمة الحقيقية التي ستنهار من هولها ولم تخطر في بالها أبداً.

صفية وزوجها مُسفر يعيشون في قرية كل شيء فيها تقليدي وقديم جداً من أدوات الطبخ التي يستعملون فيها الحطب وحده، والأواني الفخارية، إلى الانارة التي يستخدمونها داخل بيوتهم وهي عبارة عن فوانيس معلقة على الجدران تعبأ بالجاز، وصولاً إلى المرافق الصحية (الحمامات)، وهي عبارة عن غرفة صغيرة يوجد في إحدى زواياها فتحة كبيرة نصف متر طول في نصف متر عرض، تقريباً متصلة مباشرة بخزان يتم حفرة تحت كل بيوتهم، ليسوا بحاجة إلى سحب المخزون فيها، الأرض تتكفل بذلك، بجانب هذه الفتحة مكان آخر للتبول وللوضوء والاستحمام، يقع في مساحة تقريبية مترين في مترين، وهنا يتم تصريف المياه مباشرة عن

طريق فتحة في أسفل جدار البيت، ومجرى ينقل هذه المياة بعيداً عن البيت بخطوات قليلة، وهناك يتوزع وتمتصة التربة واذا كان كثيراً اتجه نحو الجبل إلى الأسفل، بالقرب من فتحة التصريف التي على الجدار وبالقرب من المجرى أيضاً.

جلس مسفر وزوجتة صفية تقف وراءه كادت أن تصرخ به: أيها القذر، ألا تستحي؟ ماذا تفعل؟ تسترق النظر إلى عورات أهل القرية؟ لولا أنها رأته وهو يدنو برأسه من الأرض مرة أخرى متجهاً بوجهه ونظراته نحو البيت ليتمكن من الرؤية عبر هذه الفتحة إلى الداخل، وقد عرفت صفية فيما بعد أن وقوفة في ذلك المخبأ إنما كان لانتظار ظهور الضوء الخافت عبر النوافذ الصغيرة لإحدى حمامات بيوت القرية وعندما يرى النور في إحداها يتجة مباشرة نحوه، وهو الآن يتأكد من أن الذي في الحمام امرأة وليست رجل.

لقد كان يتعمد الذهاب إلى البيوت التي تكثر فيها النساء ويقل أو ينعدم فيها الرجال؛ ليحظى بفرصة أكبر..إن التي في الحمام امرأة، نعم هي كذلك، فقد اضطرب مسفر وأدخل يده في جيبة وأخرج قطعة من القماش ووضعها في ذلك المجرى حتى تشربت بالماء (البول) ثم رفعها الى أنفة وبدأ باستنشاقها، كاد أن يغمى على صفية، تمنت في تلك اللحظة أن يخونها مع امرأة

أخرى، ولا يقوم بهذا الفعل القذر..أنفاسها تصاعدت لقد أرادت أن تصرخ أن تقول شيئاً، ولكن أشياء كثيرة خذلتها، مُسفر لم يكن وحده من خذلها حتى صوتها خذلها هذه المرة، مُسفر يسمع صوت أنفاسها المتسارعة، يلتفت إلى الوراء، وإذا بها خلفه سقط ذلك المنديل (قطعة القماش) من يده.

لم تستطع صفية أن تتكلم، دارت وعادت تترنح كالسكارى نحو البيت، لم يلحق بها مُسفر ولم ينم في بيتة تلك الليلة، وصفية التي لم تنم تلك الليلة ولم تستطع أن تجد تفسيراً لما رأتهُ ولم تستطع أيضاً التفكير بما يجب عليها أن تفعله، وبينما هي كذلك قد جفت دموعها فوق خدها؛ أشرقت الشمس على حقيقة لاتستطيع إخفاءها أو حتى تجاهلها، كانت تتمنى لو أن ما حدث الليلة مجرد حلم لكن ما أن لمست عيونها الذابلة حتى تأكدت أن ما حدث لم يكن مجرد حلم.

قاومت تعبها وإرهاقها، وجمعت بعض أغراضها، واتجهت في الصباح الباكر إلى بيت أهلها، ولكنها ستقع في معضلة أكبر ماذا تقول لهم إذا سألوها عن سبب رحيلها من بيت زوجها، كثرت الأسئلة ولكنها لم تستطع إخبارهم بشيء،وهكذا أمروها بالعودة وغصبوها على الرجوع لعدم وجود سبب يدعوها إلى القيام بذلك، وعندما عادت قاطعت زوجها لفترة طويلة، لا تكلمه ولا

تأكل معه ولا تنام إلى جانبه حتى نجحت آخر محاولاته معها في إقناعها واستمالة قلبها، ففي ذلك اليوم أحضر لها هدية وقدم لها الاعتذار الألف الذي لم تقبله من قبل وأقنعها بأنه يعاني من هذا النوع من الإدمان، وأن الأمر ليس بيده، وفي كل مرة يقول لها حكاية وكل مرة يسرد عليها قصة عن سبب هذا الإدمان الغريب، إحدى هذه القصص يقول فيها أنه أدمن على هذا الشيء لأنه عندما كان صغيراً ويرعى مع بنات القرية في الجبال والأودية كل يوم، وعندما يشاهد ذكر العنز (التيس) يشم بول أنثاه فعل هو ذلك مع بنات القرية وأرغمهن على ذلك (يتبولن وهو يقوم بشم هذا البول)، وأنه منذ تلك الأيام مدمن على هذا الأمر، ولأن صفية تحبة جداً صدقته ورق قلبها له وعذرته.

دارت الأيام وعندما مرض مُسفر كانت صفية هي من تبلل ذلك المنديل بعد توسلاتة الكثيرة لها لأنة لم يعد قادراً على أن يخرج إلى الشارع كما في الليالي الماضية حتى اشتد به المرض وتوفي على إثره.

صفية بقيت كما عهدناها وفية له حتى بعد موتة لم تخبرهم، لم تخبر أحداً عن سبب هذه الخاتمة وهو انزلاق مسفر من بين أيدي المغسليين له من فوق مغسلة الأموات إلى خزان المجاري التابع لمسجد القرية والذي دفن فيه، ولم يستطيعوا إخراجه منها، لم تخبر أحداً عن

أي شيء وبعد موت صفية بفترة ليست بالقصيرة، أختها الصغرى هي من سردت للقرية هذة الحكاية..تقول إن فيها عبرة للناس، والناس هناك منذ ذلك الحين قد اتخذوا من هذه القصة ومن اسم مسفر مضرب للأمثال.

❊ ❊ ❊

obeikan.com

أحزان لا تنتهي

إنه آخر مساء من مساءات عام 2014، بعد ثلاث ساعات تقريباً من الآن يبدأ عام جديد، وقبل ثلاثة ساعات من الآن أيضاً انتهى ما تبقى من الأشياء الجميلة في حياتي، هكذا هي الحياة، دائماً تعطينا لتأخذ منا، تسعدنا أيام لتبكينا بعد ذلك أعواماً، لا أدري لماذا يبدو الكل سعيداً من حولي، أيها الأغبياء لقد رحل عام من عمركم أهكذا تودعوه بفرحة!

obeikan.com

لا أحد يستمع إليَّ، ولا حتى ينتبه لوجودي، الكل هنا مبتهج.. الكل ينتظر ساعة الصفر لانطلاق الألعاب النارية، أتلفت حولي وأتساءل لماذا يبدو هذا الشاب الواقف هناك سعيداً جداً، إنه بنفس عمري ولكنه سعيد بينما أنا حتى في هذه الشوارع المبتهجة يصافحني الحزن بحرارة وكأنه لم يجد غيري هنا فألتقيه كل ثانية مادا لي يده ويحتضنني!

هذه الفتاة أيضاً بعمري، تبدو سعيدة جداً وهي تداعب أخواتها الصغار، هؤلاء الشباب هناك إنهم أكبر مني، والمفترض أنهم أكثر حزناً مني وأكثر هماً مني. .لكنهم ببساطة يضحكون.. يضحكون بقوة حتى يكاد أحدهم أن يسقط من شدة الضحك.

ترى ما الذي ينتظر هؤلاء في السنة القادمة حتى يستقبلوها بكل هذ الفرح، يبدو أن ذلك الشاب على موعد للقاء حبيب وعده بالعودة السنة القادمة، وهذه الفتاة ربما تكون على موعد بلقاء فارس أحلامها السنة القادمة أيضاً، وهؤلاء الشباب هم أيضاً على موعد ما مع الفرح الذي ينتظرهم العام القادم.. القادم بعد أقل من ثلاث ساعات.. يبدو أيضاً أنه لا مكان لي هنا، فلست منتظراً أحد وليس لي موعد مع أحدٍ.

سأبحث عن مكانٍ أخر يليق بي وبحزني؛ فالسنة القادمة ستكون كابوساً بالنسبة لي..أنا الوحيد هنا الذي يتمنى عودة السنة التي مضت، أنا الوحيد الذي يُمسك عقارب الساعة يحاول إيقافها..ويتمنى أن تعود للوراء.. مرة أخرى أعود إلى هذا الشارع ..هه، يا لسخرية الأيام، من يصدق أني سأعود يوماً إلى هنا..إلى هذا الشارع الذي أسميتهُ يوماً شارع الأحزان؛ نعم إنه شارعٌ مظلمٌ، لكني أرى وبوضوح كل تفاصيله.

قد مشيت وجلست، وأحياناً كنت أنام في هذا الشارع..أشباح الماضي تُطل برأسها من خلف الأشجار التي على جوانبه.كم آهة دفنتها هنا، وكم دمعة سقطت هنا؛ وكم حسرة امتصها هذا الشارع.لقد كان بهدوئه الذي يشبه الموت؛ وبظلامة الشديد الذي يشبه القبر.. الملجأ الوحيد لي .ذكريات ودموع وأحزان زرعتها يوماً هنا؛ واليوم أنا هنا لأضيفُ إليها قائمة جديدة..أمي الثانية.. رويدا.. ولمياء.. بيت آخر، وعائلة أخرى فقدتها، ترى هل سكن هذا الشارع أحد بعدي..؟ أم أنه الشيء الوحيد الذي أصبح ملكاً لي لوحدي حتى دون أن أطلب ذلك

أعبره بصمت وأنا متجهه نحو البحر.. البحر؟ ربما لم يعد يذكر شيء من الماضي..البحر أكبر، وقادر على إغراق أحزان أخرى، البحر كما عهدته.. يفتح بحب

ذراعية لكل من يأتي إليه..مرحباً بي.. يفرش لي بساطه الرملي لأجلس بجانبه .أضواء وألعاب نارية في الجهة الأخرى، ويظهر أيضاً مسرح كبير على الشاطئ، الكل فيه يصرخ بفرح ويرقص على أنغام الموسيقى الصاخبة، أصواتهم وأصوات الفنانين الذين حضروا من أماكن شتى خصيصاً لإحياء حفلة رأس السنة تصل إليَّ وكأنها صدى، وعلى الجانب الآخر النقيض من هذا كله.

هنا حيث أجلس حفر القدر اسمي؛ ولا شيء هنا سوى الظلام وأصوات الأمواج المنهكة القادمة من البعيد نحو الشاطئ، كيف كانت السنة الماضية والسنة التي قبلها.. بدأت رحلة العودة إلى الماضي، ولم أجد غير البحر حتى أفضفض له، فسردت له حكايتي كما سردت له يوماً حكاياتي السابقة وهو صامتٌ وهادئٌ وكأنهُ ينصت إليّ و لا يدري أني استقبلت هذا العام الراحل الآن بوجه آخر غير الوجه الذي أودعه به اليوم.كان معي أم أخرى غير التي فقدتها وصديقة وحبيبة وعائلة جديدة وكاملة، كنت أظن أن الحزن ودعني للأبد وكنت أظن أن الحياة قد شملتني بعطفها للمرة الأولى عندما بعثت إليَّ بهذه العائلة لتنتشلني من براثين الوحدة التي كنت غارقاً فيها.

لكن ظنوني خابت، أخذت الحياة عائلتي الجديدة دفعةً واحدة.. بعد أن قدمتهم لي فرداً فرداً كما في الماضي،

أيضاً أخذت عائلتي الأولى فرداً فرداً بعد أن قدمتهم لي دفعةً واحدة!.تتنوع أساليب الحياة في التعذيب ولكن يبقى الدمع والحزن واحد.أتساءل عن رويدا ومن أين أتت وكيف وضعها القدر أمامي لتكون أول درجة في السلم نحو السعادة تارةً وتارةً أخرى نحو الحزن والشقاء؟

لو يعلم الواحد منَّا أن بعض الأشخاص الذين يقابلهم صدفة سيكونون يوماً من الأيام سبباً في عذابه لما اختار أن يتعرف عليهم، ولا أن يُعمِّق بهم علاقته، ولو ظلوا غرباء لكان أفضل.

رويدا الجارة ثم الصديقة ثم لا شيء، أذكر أول مرة التقيتُها وتحدثت معها، لقد كان منزلهم بجوار منزلنا ولا يفصل بيننا وبينهم إلا الشارع، وكنت أراها باستمرار ولكن لم يسبق لي أن حدثتها، إلى أن رأيتها في أحد الأيام واقفة أمام باب منزلهم تدور حول نفسها وهي ممسكة بهاتفها المحمول ويبدو عليها أنها متوترة، اقتربت منها بسيارتي فاستدارت بوجهها نحو البيت، فأوقفت سيارتي جانباً ونزلت منها ثم اتجهت نحوها، سألتها إن كانت تحتاج إلى مساعدة، وقلت لها بأنني ابن عبد الرحمن من جيرانكم، ترددت ثم قالت: شكراً الأمر بسيط، لقد أضعت مفاتيح البيت ولايوجد أحد بالداخل،

قلت لها هل يوجد أحد من أقاربك بالقرب من هنا ولدية نسخة من المفاتيح سأوصلك اليه، قالت: لا.

صمتت قليلاً ثم تابعت ولكن هناك نسخة من المفاتيح بالداخل، التفت نحو السور فإذا به مرتفع، قلت لها: إذا دخلت هل متأكدة من أنني سأجدها؟ قالت: نعم، إنها على أول طاولة عند مدخل البيت – الصالة - ولكن كيف ستدخل؟ قلت لها : سأحاول أن أتسلق سور هذا الحوش، درت دورة كاملة حول البيت.. السور مرتفع، أحتاج إلى سلم ولكن أين أجد سلم الآن؟!

آه، لاحاجة لذلك ربما، عدت إلى السيارة وتحركت بها نحو أحد جدران السور، أوقفتها بالقرب منه ثم صعدت فوقها ؛ وبعد محاولات عديدة تمكنت من تسلق السوركما تمكنت من أخذ اهتمامها وخوفها عليَّ حتى أنها اقتربت من مكاني ولم تتوقف عن إمدادي بالنصائح، إنها المرة الأولى التي أدخل فيها بيتهم،والمرة الأولى تقريباً التي أتسلق بها سور بيت أحدهم، لقد كان الباب الرئيسي للبيت مغلقاً، درت نصف دورة حتى وجدت باباً آخراً، لقد كان باب المطبخ وهو مفتوح، دخلت واتجهت نحو الصالة أبحث عن الطاولة الموجودة فيها، كما وصفت لي رويداً؛ وهناك وجدت المفتاح، عدت إليها وفتحت لها الباب وسلمت لها المفاتيح.

شكرتني بحرارة فقلت لها لا داعي للشكر، هذا واجبي نحن جيران، وإذا احتجت لأي شي هذا رقمي لاترددي بالاتصال، أخذته وابتسمت ثم اتجهت نحو منزلهم، أما أنا فركبت سيارتي وهمت في الشوراع وفي داخلي فرحة عارمة، كنت أحس أني قمت بعمل بطولي؛ وأن هذا العمل سيكون مقدمة لحكاية جميلة؛ كما يحدث ذلك في المسلسلات والأفلام.

مرت أيام كثيرة ولم يحدث شي من ذلك حتى جاء ذلك اليوم بعد أسبوعين ونصف تقريباً عندما، صحوت لأجد مكالمات لم يرد عليها من رقم مجهول، وكانت مكالمتان وجدت أيضاً رسالة من نفس الرقم فتحتها وإذا بها جارتنا تقول صباح الخير، المعذرة على الإزعاج يبدو أنك نائم، لم أجد من يوصلني للجامعة ورأيت سيارتك واقفة فأردت أن أجرب عرضك السابق لي بأن أتصل بك إذا أحتجت الى أي شيء (هههههههههههه)، لكن يبدوا أنك مازلت نائماً.. سلام.

وبسرعة كتبت إليها : أهلاً بجارتنا التي لا أدري ما اسمها (هههههه)، فعلاً لقد كنت نائماً وجهازي في الوضع الصامت، العرض مازال مستمراً (هههههههههه)، وإذا لم تجدي من يوصلك للبيت أخبريني وسآتي اليك. وصلت الرسالة إليها - هذا مايقوله مؤشر الوتس آب - لكن يبدوا أنها تتعمد التأخر

في الرد، هي تعلم بأني أنتظر ردها.. تأخرت كثيراً، وضعت الجهاز جانباً وذهبت لأغسل وجهي، وعندما عدت نظرت إلى شاشة الموبايل فوجدت تنبيه بأن رسالة قد وصلت.. أكيد هي صاحبة الرسالة.. نعم، لقد كانت هي بدأت رسالتها بضحكة (هههههه)، جارتك اسمها رويدا، وشكراً على استمرار العرض وبالنسبة لطريق العودة فقد ركبت مع صديقاتي.. لكن ربما أكون بحاجة الى أن توصلني هذا المساء إلى بيت إحدى صديقاتي إذا لم يكن لديك مانع.

لا مانع لدي اخبريني عندما تودين الذهاب هكذا قلت لها وانتظرت حتى جاء المساء أرسلت لي الساعة الثامنة مساءًا تقول لي بأنها ستكون جاهزة بعد نصف ساعة، فقلت لها بأني سأنتظرها بعد نصف ساعة أمام منزلهم.

بالمناسبة لم أعرف حتى الآن ماهو أسمك سألتني ونحن في طريق العودة من بيت صديقتها فقد أوصلتها في الساعة التاسعة والآن الساعة الواحدة بعد المنتصف أعيدها الى بيتهم.(هههههه) ضحكت ثم قلت لها خمني ماهو اسمي، فقالت رامي فقلت لها ولم رامي لماذا اخترتِ هذا الاسم بالتحديد وبهذه السرعة؟ ضحكت وهي تقول لأن صديقتي لديها أخ يشبهك تماماً واسمه رامي، اها قلتِ بأنه يشبهني في كل شي هل هو جميل مثلي أيضاً وضحكنا معاً، بعدها قالت لي سأصورك

لأن صديقتي لم تصدق عندما أخبرتها أنك تشبه أخاها رامي، ابتسم الأن، ابتسمت، والتقطت أكثر من صورة وعندما انتهت كنت قد وقفت أمام منزلهم.

ودعتها بعد أن شكرتني وأنا أقول لها لا داعي للشكر، فتقول أنت طيب وأنا أستغلاليه وسأجعلك تندم على معرفتك بي وضحكت وهي تتجة نحو باب بيتهم وضحكت أنا الآخر، وانتظرتها حتى دخلت الباب ثم توجهت نحو البيت، لم أكن أتصور أن هذه الكلمة ستكون حقيقة يوماً ما وموجعة إلى هذا الحد، نعم أنا الآن نادم على معرفتي بها، فقد أخرجتني من عالمي الذي بدأت التأقلم معه بكل ما فيه من آلام، ثم أعادتني إليه فجأة وبدون مقدمات، ليست الوحيدة، فقد شاركها في ذلك كل من تعرفت عليه بعدها وعن طريقها، صديقتها لمياء كانت واحدة من هؤلاء اللاتي تعرفت عليهم عن طريقها و واحدة من أولئك الذين أوجعوني بقسوة، لمياء الصديقة فالأخت فالحبيبة ثم لا شيء، بعد أن شاهدت لمياء صوري التي التقطتها لي رويدا تفاجأت بحجم التشابة بيني وبين أخيها رامي لقد كانت تذكرني بذلك دائماً فتقول أشعر بأني أجلس معي أخي مع الفارق البسيط بينكم بالعمر واللحية.

هل تقصدين بأني أكبر منه، نعم أنت أكبر منه قليلاً ورامي أخي ليس لدية لحية، ليس لديه لحية لكن لديه

أشياء أخرى كثيرة نحن متشابهان في الصورة فقط لكن مختلفين في أشياء كثيرة هو محظوظ أكثر مني، كيف يكون محظوظاً أكثر منك وماينقصك أنت، ينقصني الكثير، أما فبماذا هو محظوظ فاسمحي لي أن أقول لك بأنه هو محظوظ بك أقصد محظوظ لأنكِ معه، لأنكِ أختة..

صمتت خجلاً وربما متفاجئة، فقاطعت ذلك رويدا بحديثها عن حفلة صديقتها، لم أعد أفهم هذه الفتاة أبداً تحاول مؤخراً وفي كل مرة أن تدخل بيني وبين لمياء وتفسد كل جلسة، لا أظنها تغار أو شي من هذا القبيل فقد اعترفت لي بالبداية أنها مرتبطة ولا تريد أي علاقة معي غير الصداقة، لكن تصرفاتها تغيرت معي ومع صديقتها، لاحظت ذلك، حتى لمياء أخبرتني بأن تعاملها تغير خصوصاً عندما شعرت بأن علاقتنا آخذةٌ في التطور يوم بعد آخر، أذكر مرةً أني خرجت مع لمياء للعشاء ولم تخرج هي معنا، وعندما علمت بالأمر غضبت أيما غضب وقالت كلاماً كثيراً (أنا التي عرفتكما ببعض، والآن تنسونني وتنسون فضلي عليكم، تتركوني وحيدة وتخرجون أنتم لوحدكم دون حتى أن تخبروني)

أقسم لك أنه خروج عفوي وغير مخطط له، عرضت على لمياء الفكرة فوافقت وخرجنا، حاولت تهدئتها

وإقناعها ولكن بلا فائدة، حسناً نحن نعتذر منك ولن نخرج مرة أخرى بدونك.. لاتعتذروا ولكن اعزموني على العشاء الليلة.. ضحكت أنا وقلت: ها قد عادت رويدا الاستغلالية، فضحك الجميع واتفقنا قبل الانصراف على الخروج هذه الليلة لتناول العشاء معاً.

رويدا... ألو.. رويدا وينك.. هل تعرفين أين هي لمياء لم ترد على رسائلي واتصالاتي منذ افترقنا ليلة الأمس بعد العشاء، حتى آخر ظهور لها على الوتس آب كان بالأمس..؟! كعادتها رويدا لا ترد إلا بعد وقت طويل، قالت ولماذا أنت قلق عليها هكذا ربما تكون مشغولة في أمر ما.. لا، ليس معقولاً أن تكون مشغولة كل هذه المدة، أشعر بأن هناك أمر ما.. ردت : لوغبت سنة لما سألت عني هكذا..

- يا رويدا أنتِ تعرفين كم أعزك فلا داعي لهذا الكلام الآن، وحاولي التواصل مع لمياء أو إحدى قريباتها؛ فغيابها وعدم الرد على الاتصالات والرسائل بهذه الطريقة يعني أن هناك أمراً ما، أعرف لمياء لاتتاخر كل هذا الوقت في الرد.. قالت : حسناً حسناً أيها العاشق، سأطمئنك عليها حالاً. بعد ثلاثة عشر دقيقة اتصلت بي رويدا لتقول لي تعال لتوصلني إلى المستشفى.. ماذا جرى ؟ ولماذا المستشفى..؟ هل عرفت شيئاً عن

لمياء..؟ تعال، أنا أنتظرك أمام البيت وسأحكي لك في الطريق.. باي..!

مساء أمس وبعد أن تفرقنا عادت لمياء إلى البيت، بعد وصولها بدقائق جاءهم خبر تعرض أمها وإخوها وبنت أخيها الكبير لحادث مروري نقلوا على إثره إلى المستشفى، أخوها لم يأخذوه إلا وقد فارق الحياة أما بالنسبة لأمة فهي في العناية المركزة وابنة أخيه ترقد في المستشفى لم تتأذى كثيراً بعض الجروح والكسور. هذا ماقالته رويدا لي ونحن في الطريق، وأنا الآن واقف أمام بوابة المستشفى أتقدم خطوتين وأتاخر ثلاث.

لابد من الوقوف بجانب لمياء ومواساتها قلبي يقول.. عقلي يرفض بشدة بصفتك من تزورها وتواسيها في فقدها وتخفف عليها مصيبتها ؟.. نعم، هذا ما قالته رويدا أيضاً ماذا سيقول إخوتها وأهلها عني من أنا ؟.. ولماذا جئت ؟ وبأي صفة..؟! بعد مضي وقت كثير لا أعلم كم هو رأيت رويدا مقبلة من آخر الممر الأبيض الطويل..

ماذا تفعل هنا ؟ تسألني وكأنها لا تعلم.. قلت لها كنت أفكر في زيارة لمياء وأهلها.. هل أخبرتيها أنني هنا.. نعم أخبرتها.. ماذا قالت.. قالت أنها تشكرك.

سألت رويدا أسئلة كثيرة لكنها لم تكن ترد، أو ربما ردت لكن لأن إجاباتها لم تعجبني تناسيتها..

ماذا يحدث لهذه الفتاة؟ هل تغار من اهتمامي بلمياء أم هناك شيء آخر يزعجها؟! بعد مرور خمسة أيام وأنا أحاول التواصل مع لمياء لكن دون جدوى، فاجأني في عصر اليوم السادس اتصالها، وبكلمات قليلة قالت أنها تطلب مني المساعدة وأن عليَّ أن التقي رويدا لتشرح لي كل شي وأحضر معها للمستشفى اليوم بعد صلاة العشاء!

لم أستطع الانتظار حتى تتصل بي رويدا، اتصلت أنا بها، وفوراً سألتها عن لمياء وعن ماقالته لها، صمتت قليلاً ثم قالت بسخرية: أها لمياء، اتصالاتك لم تعد تأتيني إلا من أجل السؤال عنها..

تابعت: المهم لمياء كما تعلم فقدت أخاها، وبما أنك تشبهه تُريد منك لمياء وعائلتها أن تمثل دور أخيها رامي أمام والدتها التي كانت في العناية المركزة وخرجت اليوم وهي تسأل عن ولدها رامي، ولم يستطيعوا إخبارها بأنه قد توفي خوفاً عليها، بل قالوا لها بأنه يعاني من جروح بسيطة وهو موجود في نفس المستشفى، وحالما يسمح له الدكتور بالحضور سيحضر إن شاء الله، وسيحضر هذا المساء، لذا أنت اليوم بعد

العشاء ستذهب إلى المستشفى وتقابل والدة لمياء على أنك ولدها رامي هذا ماقالته لي لمياء وأرادت مني أن أوصله لك، وقالت لي ايضاً بأنها تريد منك أن تتظاهر وكأنك لاتعرفها من قبل لأنها قالت لأهلها بأنها لا تعرفك وإنما صديقتها - أنا - هي التي قالت لها بأن لها جار يشبه أخاها كثيراً، سأذهب أنا وأنت هذا المساء، كن مستعداً.. مع السلامة.

رباه!! ماهذا؟ أأذهب لأكذب على امرأة وأقول لها بأني ولدها وبأنها أمي؟ كيف أقنعها بل كيف أستطيع أقناع نفسي قبلها وأمثل دور الابن على أمرأة لا أعرفها ولم أشاهدها طوال حياتي،هل أرفض ؟ لكن لابد من مساعدة هذه العائلة وتلك الأم المسكينة ومن أجل لمياء أيضاً يجب أن أوافق وأقوم بالدور.

أدخلوني عليها ببعض الضمادات على راسي ويدي، أنظر إليها لأتعرف عليها تبسمت وحاولت النهوض ساعدتها لمياء ومن يقف بجانبها على الاستناد، بعدها لا أدري ماذا فعلت ربما هرولت نحوها، حضنتها، حضنت أمي وحضنتني وبكيت وبكت هي أيضاً، حتى بعد أن أخرجوني من غرفتها وهم يهنئوني على نجاحي في التمثيل كانت بقايا دموع أحس بحرارتها تنزل على خدي بين فترة وأخرى، لا أحد هنا شعر بما شعرت به، لا أحد شعر بصدق مشاعري غير تلك المرأة التي

احتضنتها كأم، تذكرت برؤيتها أمي، أمي التي يقولون بأني كنت سببً في موتها، لازلت أتذكر بوضوح نظراتها تلك وصراخها الشديد، أذكر صوتها وهي تناديني: وليد وليد، نادي جارتنا أم سعود نادي جارتنا أم عماد نادي أبوك، وعندما ذهبت لأجد أحداً من هؤلاء الذين ذكرتهم لي، وجدت ف الطريق أصدقائي من أطفال الحارة يلعبون فانضممت إليهم ونسيت كل شيء، وعندما عدت بعد مدة ليست بالقصيرة وجدت البيت قد امتلأ بالنساء وكأن على رءوسهن الطير.

دخلت من بينهم، حتى وصلت إلى المكان الذي تركت فيه أمي فوجدتها مستلقية في حضن إحدى النساء بينما امرأتان تدوران حولها، لا أعرف ماذا يفعلن شق هذا الهدوء صوت طفل صغير، تبعه حركة وجلبة كثيرة لم أفهم منها شيء، لكن مافهمته بعد ذلك أن أمي رحلت، ورحلت معها إحدى أخواتي التوأم وبقيت الأخرى ندى التي قررت أن تعاقبني على طريقتها واختارت أن تعيش مع خالتي في مدينة أخرى غير التي أسكنها حتى الآن، أما والدي فقرر هو الآخر معاقبتي، إذ تركني هنا وحيداً وتزوج بأخرى ولحق بعمله خارج البلاد، لذا عوقبت بالحزن والوحدة.

لم أستطع مسامحة نفسي طوال تلك الفترة، كنت أعيش وحيداً كالغرباء حتى الأصدقاء تركتهم لأنهم يتغيرون

دائماً، أما وقد رأيت هذه العائلة وتعرفت عليها فقد كنت أظن أن الله قد رضي عني وبعث لي بهذه الأم وبهذه العائلة لأنسى مامررت به وأعوض الآن مافقدته بالأمس، لكن الرياح تجري بما لاتشتهي السفن، ليست إلا أيام وتغير كل شيء وتبدلت الأحوال والأسماء والصفات حتى المشاعر أيضاً تغيرت.

كنت أعيش أيام سعيدة مع هذه العائلة الجديدة أحببتهم وكأنهم عائلتي الحقيقة، وأحببت أمي الجديدة وأحببت لمياء أكثر وتعلقت بها أكثر رغم أن علاقتنا تعقدت ولم أعد أعرف من أكون بالنسبة لها؟ وكيف أعاملها؟

مع أمها وإخوانها نتقن دور الأخوة، وأنا معها لا دور يليق بي وبها سوى دور العشاق، بينما رويداً التي لم يهدأ لها بال وهي ترى هذا التقارب بيننا والابتعاد الكبير عنها.

لم تستطع السكوت أكثر، فدبرت مكيدة وخططت ونفذت ونجحت، لقد صورتنا في أكثر من مكان، وبعثت بتلك الصور إلى ماجد أخ لمياء.

إنه أكثر إخوتها شراً وجنوناً وتهوراً بعد أن وصلت الصور والمعلومات تم استدعائي، وكانت المكاشفة الكبيرة التي لم أستطع إخفاء شيء فيها، لأنهم اتهموني

بالخيانة وبأنهم وثقوا بي فخنتهم، فلم يكن هناك أي مفر من قول الحقيقة: أنا أعرف لمياء من قبل أن أتعرف بكم وكنت أفكر في التقدم لخطبتها منكم لولا الأحداث التي حصلت.

اشتاط ذلك الأخ غضباً، وهدد وأزبد وأرعد وأقسم أن يقتلني، وعندما حاول أخوته تهدئته وهو يكيل لي السب والشتم والتهديد والوعيد، لكنه لم يهدأ أو يسكت، فصفعه أخوه الكبير، فصمت الجميع لحظة، بينما قام ماجد غاضباً واتجه مهرولاً نحو الخارج، وهو يهذي بكلام غير مفهوم، لكن ما فهمناه بعد ذلك هو أنه أخبر والدته بالحقيقة كلها.

لذا عندما ذهبت لأراها آخر مره كنت أريد أن أشرح لها السبب وأوضح لها ما جرى، كنت أريد أن أقول لها بأني أحتاجها كأم أكثر مما تحتاجني هي كابن، وبأني أحببتها كأمي وبأن هذا هو الشيء الذي لم يكن فيه أي كذب أو تزوير.

لكن عندما رأيتها تأخذ غطاء الرأس لتغطي شعرها وتستر ما ظهر من جسمها بل وتغطي وجهها، عندها عرفت بأن لا فائدة من أي كلام سيقال، عدت من حيث أتيت والدموع تسبق خطوتي، لمياء أيضاً اختفت عني ولم أستطع التواصل معها أيضاً حتى عبر الهاتف،

أرسلت لي رويدا رسائل تشفي الواحدة تلو الأخرى، ولم أرد عليها، فكانت طلقتها الأخيرة رسالة تقول فيها بأنها مدعوة لحضور خطوبة لمياء هذه الليلة – ليلة رأس السنة - أما أنا أيها البحر فجئت إليك من غير دعوة فهل تقبلني؟!

❊ ❊ ❊

obeikan.com

عبير تحرق أختها

عبير اليوم لم يهدأ لها بال، تكاد أن تبكي تارة ؛وتارة أخرى تكاد أن تنفجر من الغيظ الذي كان سببه أختها ملاك.انتهى الحفل وانتهى العشاء وهدأت الأصوات وعاد كل شيء إلى مكانه وكل شخص إلى غرفته يفكر باليوم الذي قضاه مع من تحدث اليوم ومن قابل؛ وماهي المواقف التي تعرض لها..إلا عبير كانت تمسك بالكبريت وبعلبة مليئة بالبنزين، تضغط بيدها على صدرها لعل قلبها الذي كاد أن ينفجر من الخوف يهدأ؛ تحاول أن تثبت جسمها الذي ينتفض وكأنه قطعة قماش في مهب الريح.

obeikan.com

عبير تخرج من غرفتها بعد أن أطفأت الأنوار؛ وتتجه بخطوات ثقيلة مترددة ومتقاربة نحو غرفة أختها العروس ملاك؛ وفي إحدى يديها الكبريت وفي الأخرى علبة البنزين،في تلك الثواني مر أمامها شريط حياتها وذكرياتها مع أختها.

ما كان يؤلمها من أختها أكثر بكثير من الذي كان يسعدها؛ لذا قررت القرار الأخير وهو الانتقام وإضرام النار في غرفة أختها ملاك بعد إغلاق الباب من الخارج حتى لا تكون هناك أية فرصة لنجاة أختها العروس، هي الآن تتجه نحو غرفة ملاك بخطوات بطيئة ومترددة ويد مرتعشة..مازال شريط الذكريات يمر أمام عينيها؛ تذكرت أنها ما أسعدتها يوماً بقدر ما جعلت حياتها تعيسة، تذكرت حبيبها وفارس أحلامها الأول ثامر؛ وكيف أن ظهور أختها الصغرى أمام والدة ثامر التي حضرت لتخطبها أفسد عليها كل شيء، وكيف أن والدة ثامر غيرت رأيها؛ وحولت نظرها إلى أختها الصغرى ملاك لأنها كانت جميلة جداً والكل يمتدحها؛ وعندما رأتها والدة ثامر غيرت رأيها؛ وطلبت لولدها ملاك الصغرى وليست عبير، قوبل طلبها بالرفض، فغادرت بحنق.

في تلك الليلة كانت عائلة عبير وكل من في البيت غاضبون من ملاك لأنها أفسدت خطوبة أختها، فبعد

رفضهم طلب أم ثامر لم تعد بعدها أبداً وانقطعت علاقة ثامر بعبير خصوصاً بعد أن دفعته أمه لذلك، وأخبرته عن ملاك وجمالها مقارنة بأختها عبير التي لم تكن تملك ذلك القدر من الجمال.مرت الأيام وذلك الجرح لم يبرأ في قلب عبير؛ وكلما رأت ملاك وجمالها اللافت تذكرت ذلك الحادث؛ وازدادت معاناتها حتى كلام أقاربها كان يدور كله حول ملاك وجمالها؛ وكيف أن العروض تنهال عليها وأهلها يرفضون ويقولون بأنها لا زالت صغيرة ؛ولم تكمل دراستها ؛ وفي يوم من الأيام حضرت صديقات عبير وهم أحلام وخلود لزيارتها؛ وأحضروا معهن صديقتهن سماح التي لا تعرفها عبير.

لقد كانت في زيارة لمدينة عبير مع أهلها، تعرفت عليها عبير وعرفتها على أختها ملاك وباقي الأسرة، سماح كان لها أخ يكبرها بأعوام اسمه حسام، ويبحث عن عروس بمواصفات كثيرة، تلك المواصفات التي طلبها أخوها لم تجدها في صديقاتها ووجدتها مصادفة في ملاك، بل كانت ملاك أجمل مما كان يتمناه حسام، وفيها من المواصفات فوق الذي طلبه، سماح لم تخبر أحداً لكنَّ عينيها لم تكن تفارق ملاك، تتابعها لحظة بلحظة تدرس كل تحركاتها كي تصفها وصف دقيق لأخيها، انتهت الزيارة وذهب الجميع على أمل اللقاء مرة أخرى، سماح طبعاً ستطير من الفرح ودعت صديقاتها بعد الخروج من منزل عبير معتذرةً لهم بأنها قد تأخرت

على أهلها؛ وفوراً اتصلت بأخيها لتبشره بفرحة عارمة: لقد وجدت فتاتك المطلوبة. طلبت منه أن يلاقيها في البيت لتحكي له كل شيء عنها.

عبير في البيت بمزاج سيء، والدتها لاحظت ذلك، فهو واضح على ملامحها وتصرفاتها لكنها تغض الطرف لأنها تعلم بماسأتها وبما في قلبها، عصبيتها الزائدة اليوم والفرحة المصطنعة بسبب الزيارة المحتملة للعروسين - ملاك و زوجها - نعم زوجها لقد أصبح حسام زوج ملاك، فبعد أن أخبرته أختة عن ملاك وجمالها، اتصل والد حسام بوالد عبير مباشرةً وطلب منه تحديد موعد لزيارتهم؛ وكان ذلك بعد يومين، وكانوا يعتقدون بأنهم حضروا من أجل عبير؛ ولكن كلام أم حسام وسؤال أخته الدائم عن ملاك أين هي؟

خيب آمالهم لقد حضروا من أجل ملاك؛ وهذا ما دفع عبير إلى مغادرة الصالة بعصبية وحنق، وربما بدموع حبستها؛ وبعد إصرار والحاح الكل، ظهرت ملاك أخيراً؛ وكان لها من اسمها نصيب، فقد كانت جميلة كالملاك، أعجبت بها أم حسام أشد الإعجاب وطلبت يدها فوراً تلعثمت أم ملاك ولم تدري ماذا تقول، مرة تعذرت بأنها لا تزال صغيرة؛ وأختها الكبرى لم تتزوج بعد، وأيضاً لم تكمل دراستها -.فقالت لها أم حسام : لا مانع لدينا من مواصلتها للدراسة؛ وإذا كانت صغيرة

حسام يقول "بأنه مستعد أن ينتظر" وأما بالنسبة لأختها فكل واحدة تأخذ نصيبها، لقد تزوجت أختي التي هي بعدي قبل أن أتزوج ولم أعترض، بل فرحت لها وتزوجت بعدها بفترة بوالد حسام، (لن يأخذ أحد غير نصيبه) هكذا ختمت أم حسام كلامها بينما أم عبير تنظر إلى ابنتها ملاك وشبح ابتسامة ماكرة ترتسم على شفتيها. فقالت: يصير خير إن شاء الله، نأخذ رأيها ورأي والدها وسنرد عليكم بأقرب وقت إن شاء الله، وما هي إلا أيام، حتى حدد موعد العرس وتزوجت ملاك من حسام الذي كانت تنظر إليه عبير وهو يجلس مع أختها فوق كوشة الفرح وتقول في نفسها: "لولا ملاك لكنت أنا من تجلس الآن بجانبه".

صوت أمها يقطع حبل أفكارها وتخيلاتها وذكرياتها مع الماضي: عبير، أين القهوة والتمر.

-حاضر يا أمي، الآن سأحضرها واتجهت نحو المطبخ..

عبير لازالت تذكر كل شيء لحظةً بلحظة، وكأنها سجلته على شريط فيديو وهي الآن تنظر إليه وتنتقل من موقف لآخر؛ وينتقل معها ذلك الألم والحزن لتعيش تلك المواقف واللحظات مرة أخرى.. لكن شيء حدث ذات يوم أدخل بعض السعادة إلى قلبها، وإن تظاهرت

بـالحزن مـن أجـل أختهـا؛ فقد تعرضـت مـلاك وزوجهـا حسـام لحـادث مـروري وهـم عائـدون إلـى مـدينتهم تـوفي علـى إثـره حسـام بعد مكوثـه أكثـر مـن شـهر فـي العنايـة المركـزة، ومـلاك عاشـت بـبعض الكسـور والجـروح والكدمات التي شفيت منهـا تمامـاً فيمـا بعد، لكن جرحهـا الأكبـر الـذي لـن يشـفى هـو مـوت حسـام ؛حزنـت عليـه كثيـراً وبكـت عليـه كثيـراً لأنهـا كانـت تحبـه ويحبهـا حبـاً شـديداً.لـم تفكـر أو ربمـا فعلـت لكنهـا لـم تخبـر أحـداً بـأن ماحـدث لهـا ولزوجهـا ربمـا بسـبب أختهـا عبيـر، فعلـى الأرجـح أنهـا أصـابتهما بعين أو دعـت عليهم؛ ولكـن لـم يُلمح إلى هذا أحد.

مـرت الأيـام وعـادت الميـاه إلـى مجاريهـا، عـادت مـلاك الـى بيت أهلها وعـادت علاقـة مـلاك وعبير إلـى مـا قبل الزواج وتلك الأحداث بكل مـا فيهـا مـن مآسـي وأحـزان للـبعض وأفـراح للـبعض الآخـر. لكـن مـلاك مازالـت متفوقـة علـى عبيـر، فبالإضـافة إلـى جمالهـا الـذي لـم يتغيـر، بـل أنهـا تـزداد جمـالاً وأنوثـة كـل يـوم، زاد مـن حسـرة عبيـر حصـول مـلاك علـى بعـض الأمـوال والممتلكات ورثتها بعد رحيل زوجها حسام وهذا جعلها تشتري كل شيء تريده،عكس مـا كانـت عليـه حـال عبير التـي كانـت تريـد أشـياء كثيـرة لكنهـا كانـت تريـد وبشـدة جهازاً متطوراً من أجهزة الموبايل الحديثـة؛ الـذي تمتلـك ملاك واحدا منـه، لكـن ثمنـه بـاهظ فتراجـع حلمهـا قليلاً؛

وأصبحت تتمنى لو تترك لها ملاك جوالها هذا لتستخدمه قليلاً.

وأخيراً تحقق جزء من حلمها وسمحت لها أختها باستخدام الجهاز، بل وقامت بفتح حساب خاص لها على موقع التواصل فيس بوك باسمها - عبير- وقامت بعد ذلك - عبير - بتغير الاسم إلى فتاة أبكاها القدر

مرت الأيام سريعاً، و بدأت علاقة الأختين تتحسن؛ وبدت عبير سعيدة بعد أن سمحت لها أختها باستخدام جهازها، وسعيدة أكثر بـ (مازن) الذي تعرفت عليه عبر الفيس بوك؛ وأخذت علاقتهم تتطور يوماً بعد يوم من صداقة إلى علاقة حب.

هي رأتهُ ورأت صوره على حسابه الشخصي في الموقع وأرسل لها بعض الصور والفيديوهات الصغيرة، لكن هو لم يرَ منها شيئاً، وفي كل مرة يطلب منها كانت تعتذر؛ وتقول بأنها خائفة رغم ثقتها الكبيرة به؛ وتقول له بأنه إذا أراد أن يراها فليأتِ إلى منزلهم؛ ويطلب من والدها رؤيتها – الرؤية الشرعية– لكن بعد ذلك بوقت قصير هدأ مازن ولم يعد يُلح عليها بأن ترسل صورتها، وبأنه يُريد أن يراها استغربت عبير في بداية الأمر قليلاً.

ولكن لم تكن تريد أن تفتح معه الموضوع، خوفاً من أن يظن بأنها قد وافقت على ذلك.

حتى جاء ذلك اليوم الذي وصل فيه إلى بيتهم؛ لكنه لم يطلب رؤيتها ولم يطلب يدها لقد جاء يطلب يد ملاك؛ وهنا كانت الصدمة التي مابعدها صدمة بالنسبة لعبير وأحلام عبير؛ كيف؟ وأين؟ ومتى؟! ولماذا؟!

لا إجابة، إنما أسئلة تنهال عليها ولا جواب، وبما أن ملاك متزوجة من قبل ولم تعد عزباء لم يتردد أهلها بالموافقة والقبول فوراً، تماسكت عبير حتى غادر مازن بيتهم؛ وتمالكت نفسها وأعصابها حتى جاء موعدها ودورها في أخذ الجهاز- جهاز أختها - لكن ملاك رفضت هذه المرة أن تعطيها الجهاز وتحججت بحجج كثيرة، فلم تنتظر عبير أكثر، انطلقت مسرعة نحو جارتها وصديقتها أخذت جهازها؛ وبسرعة أدخلت الايميل والرقم السري على الفيس بوك؛ وبدأت بإرسال الرسائل الواحدة تلو الاخرى إلى مازن، أحياناً لم تكن ترسل سوى علامات استفهام وتعجب فقط، عبير على أحر من الجمر وكأنها تنتظر حكماً بالإعدام..

بعد فترة ليست بالقصيرة جاء الرد الذي صدمها، شهقت وكادت أنفاسها تنقطع، ولم تستطع أن تتكلم أو ترد على صديقتها التي تسألها وتسألها ؛وهي جامدة تقرأ وترسل

فقط، لا شيء يتحرك سوى أصابعها على الجهاز وعينيها، ودمعة لم تستطع أن تحبسها هذه المرة، لقد اتضحت لها الصورة، أختها ملاك أخذت حبيبها منها؛ لقد خانتها أو بالأصح سرقتها، سرقت حبيبها منها، لقد كان سعيداً بهذا الارتباط الذي أخذ يتوثق بعقود شرعية؛ وهو لايعرف أن التي تكلمه الآن هي واحدة أخرى غير التي طلب يدها ؛ وكان في بيتهم قبل قليل، فاجأها عندما قال لها بأنها أجمل على الطبيعة أكثر من الصور، وبأن شكلها لا يقول بأنها قد تزوجت من قبل.

آه! أي أرض تتسع لعبير ولحزنها وصدمتها وغضبها ومشاعرها الملخبطة،ماذا تقول له؟ هل تقول له أن أختها كانت تدخل إلى حسابها على الفيس بوك وتراسله بدون علمها، وانها هي التي أحبها أولاً وتحدثت معه اولاً ؛ وبأنها هي العزباء التي لم تتزوج، وبأنها هي التي طلبت منه الحضور إلى بيتهم ؟ ماذا يفيد الآن؟

لقد رأى ملاك وجمال ملاك بل وأحبها، وعبير لم يعرف منها حتى اسمها الحقيقي، إنما عرف – فتاة أبكاها القدر - أعادت الجهاز إلى صديقتها بعد أن خرجت من حسابها على الفيس بوك؛ وعادت تجر أذيال خيبتها صامتة لم تحدث أحداً بما جرى؛ ولكن نظراتها نحو أختها ملاك لم تكن تبشر بخير نظرات يطير منها شرر الغضب والكره والحقد معاً، ورغبةً جامحة في

الانتقام قاومت كل شيء حتى حان موعد الخطوبة؛ وبعد أن رأت مازن وملاك على المنصة -الكوشة- يتبادلون الابتسامات؛ والأحاديث الحميمة والضحكات الخافتة تمنت لو استطاعت إشعال النار فيهم وهذا ما خططت له، فبعد أن هدأ كل شيء، وذهب الجميع للنوم قررت أن تحرق أختها العروس؛ وهي الآن متجهة نحو غرفتها تحمل الكبريت وعلبة من البنزين.

لا صوت هنا، المكان هادئ والغرفة مظلمة إلا من ضوء خفيف يتسلسل من تحت الباب، تأكدت أن أختها نائمة، أمسكت بقبضة الباب وأدارته بهدوء نظرت إلى سرير أختها، فوجدتها مستلقية عليه وتغط في نوم عميق ؛ وربما غارقة في أحلامها مع مازن ترددت قليلاً، ولكن هذا لم يطول، أفرغت محتوى العلبة من البنزين حول السرير؛ وفي أرجاء الغرفة كلها أشعلت عود الكبريت، ثم ألقت نظرة أخيرة على أختها وغرفتها؛ ولفت نظرها الجهاز الجديد - موبايل - الموجود على الطاولة بجانب السرير، لقد أهداها إياه مازن اليوم؛ فتقدمت عبير وأخذته ثم رمت عود الكبريت؛ وانطلقت مسرعةً نحو الخارج بعد أن أحكمت إغلاق باب غرفة ملاك، واتجهت نحو غرفتها التي بجانب غرفة أختها، وأغلقت على نفسها الباب.

فـي غرفـة مـلاك بـدأت النـار بالتهـام الهـدايا وفسـتان الخطوبـة ؛وامتـدت نحـو السـتائر وبـدأت ألسـنة اللهـب تتصاعد ملتهمةً أطراف السرير، شعرت ملاك بـالحرارة والدخان الذي ملأ الغرفة، قامت مذعورة وهي تصيح لا لا لا لا ياعبير.. لا لا لا لن أتزوجـة.. لا لا أريده، لا يـا أمي.. لا لا أريده يا أبي.. لا أريده ولا أريد أن أتزوجـه؛ ولا أريد أن اتزوج أحداً، أرجوكِ ياعبير أطفئي النار..

وصل صوتها وصراخها إلى كل ركن في البيت، فهرع إليها الجميع فتحوا البـاب، فوجدوها مرعوبـة ومفزوعـة العـرق يتصـبب مـن وجههـا، جسـمها يـرتعش، وهـي تتحسس جسمها وتنظر إلـى سريرها وغرفتها،لقد كانـت فـي حـال يرثـى لهـا، وعنـدما سـألوها مـاذا جـرى؟ رددت نار حريق غرفتي تحترق.

ضـحك أخوتهـا بينمـا كانـت والـدتها تحتضـنها وتسـمي وتقرأ عليها المعوذات، أمـا هـي فكانـت تسـأل عن أختهـا أين هي عبير؟!

❊ ❊ ❊

يوميات بائع ورد

في أول أيام العيدية

ذهبت إلى مدينة سحرية

تجولت في أرجاء المدينة

والتقيت بفتاة بريئة

قالت: أتحبني بعيون حزينة؟

قلت:أالحب هدية؟

قالت: الحب رابطة إنسانية.

قلت: وبما يُفيدك أيتها الوردية؟

قالت: الحب يبعدك عن الكراهية،

obeikan.com

الحياة غابة بدونة والبشرية.

قالت: الحب رسالة إنسانية.

قلت : أللكِ في الحب نية؟

قالت: الحب يُنسيك المعاناة،

الحب يبعدك عما سواه،

الحب يصنع لك من الحطام سفينة.

الحب يبني لك من الأطلال مدينة،

الحب أكسير الحياة.

الحب مفهوم السعادة.

الحب يجمع كل البشر.

الحب لايتغلب عليه إلا القدر.

لذا أحبني!

فقلت أُحبكِ.

obeikan.com

بعد ذلك وضعت يدها في يدي وذهبنا نتجول في تلك المدينة مررنا بشوارعها وازقتها واسواقها وحدائقها بينما الناس ينظرون الينا بدهشة وتعجب وكانهم للمرة الاولى يشاهدون عاشق وعاشقة يصرحون بعشقهم أمام الناس بهذه الطريقة، فرغم جمال هذه المدينة إلا إنه قلما تجد عاشقاً يمسك أو يُقبل يد معشوقته هنا في الشارع، لقد كان شارعاً متحفظاً إن صح التعبير.

استمرت رحلتنا داخل هذه المدينة حتى انتهينا من كل شي فيها، حتى خرجنا خارج تلك المدينة وصعدنا إلى تلك الهضاب الصغيرة المنتشرة حول تلك المدينة والمكسوة بالخضرة الرائعة، في أعلى هذه التباب وقفنا ننظر ونتأمل صورة مليئة بكل ألوان الجمال بكل الصور التي تثير المشاعر وتحرك العواطف وتأسر الوجدان.

سحاب أبيض يغطي أجزاء من المكان، الضباب يحتضن الجبال البعيدة هناك كما يحتضن الطفل لعبته، زخات من المطر هطلت وقطرات من الندى عن الأوراق تساقطت، لا أدري هل كان بداية الصباح أم بداية المساء، الشمس أشرفت على المغيب ترسل ظفائرها الذهبية الطويلة لتخترق السحاب والضباب لتوصل لنا قبلة الوداع، نظرنا إليها وهي في المغيب

وبدأ الضجيج يهدأ، أسدل الليل ستارة فلا ترى إلا نجومة وأقماره.

نجوم تزين سقف هذه القبة، فتتلألأ السماء بريقاً ولمعاناً، مددت يدي وأمسكت بيدها بعد أن أفلتها للحظات ونحن نتأمل هذا المنظر البديع، أمسكت بيدها ويدي الأخرى تتحسس ما حولنا، لتقع يدي على بساط أخضر مشبع بالماء الدافئ، ترنحت وهويت على هذا البساط وجذبت تلك الجميلة معي، التي كانت تشاهد معي كل هذه الصور بصمت مطبق، هوت هي الأخرى بجانبي وسرحنا نتأمل السماء ونحن مستلقيان بجانب بعضنا.

أخذت أداعب شعرها بيدي التي جعلتها وسادةً لها، ويدي الأخرى متشابكة مع يدها، بينما وضعت هي يدها الأخرى على صدري، قلت لها ونحن في غمرة هذه النشوة، هل تعرفين من أنا، قالت نعم أعرف ولكني أريد أن أعرف منك، قلت لها أنا مدينة عشاق، عطرك هوائها، دموعك ماؤها، عيناكِ شمسها، وجنتاك قمرها، شعرك ليلها، وأبتسامتك صباحها، باختصار أنتِ مدينتي وعالمي، الآن أخبريني عنكِ، بينما كنت أنتظر الرد.

رن المنبه الساعة 9 صباحاً، أمد يدي إلى ذلك المنبه اللعين أطفئه ثم أرميه أرضاً وألحقه بسيل من السب والشتم، إن هذا المنبه هو نفسه إبليس الذي أخرج آدم

من الجنة ويخرجني أنا كل يوم من جناتي، حاولت أن أدفن راسي في الوسادة حاولت أن أعود إليها وإلى تلك الجنة، لكن لا فائدة. ذهبت تلك الجميلة ربما بلا رجعة، وهذه الوسادة الثانية أعتقد بأن لا أحد سيأخذ مكانها في حضني، أضعها جانباً وأنا أشعر بدفء تلك الجميلة عليها، تنهدت واتجهت نحو الخارج، وعلى غير عادتي بعد النوم كنت نشيطاً أحس بالحيوية والارتياح النسبي وكأني نمت لفترة طويلة بل على العكس سهرت، ولم أنم إلا القليل ومع ذلك كنت مرتاحاً بعض الشيء ربما تأثير ذلك الحلم الجميل هذا ما قلته لنفسي، وأنا أهم بأخذ المنشفة واتجه نحو الحمام.

اغتسلت ثم عدت غيرت ملابسي واتجهت نحو الخارج، اتجهت نحو المحل الذي أعمل به، محلٍ لبيع الورد، فتحت المحل قمت بتشغيل الإنارة، جلست دقائق على الكرسي ثم أطلقت بصري في إرجاء المحل، لم أكمل جولتي في أرجائه حتى دخل جاري وصديقي، سلم علي وقال كلاماً معتاداً يقوله كل صباح واتجه نحو محله، فقمت على الفور بترتيب وتنظيف الأشياء التى تحتاج إلى ذلك في المحل، ثم ذهبت لإحضار وجبة الافطار.

مر الوقت سريعاً وإذا به ينادي لصلاة الظهر، اتجهنا نحو المسجد، أنا وصديقي أتممنا الصلاة ثم عدنا إلى محلاتنا، بعد العودة بساعة جاء موعد الغداء بعد ذلك

القيلولة إلى وقت صلاة العصر، انتهينا من وجبة الغداء حمدنا الله وشكرناه، ثم اتجهنا نحو الفراش كلٌّ في غرفته لنأخذ قيلولة إلى العصر، استلقيت على سريري بانتظار النوم، مرت دقائق وإذا بهاتفي المحمول يرن، اتصال وردني من أحد الأصدقاء، قمت بالرد عليه، وبعد الأسئلة المعتادة طلب مني الذهاب معه إلى بيتهم، حاولت أن أرفض لكن بلا جدوى، كان مصراً على الذهاب معه، وختم اتصاله بأنه ينتظرني في الأسفل أمام البيت.

ارتديت ملابسي ونزلت إليه، كان منتظراً في سيارته، قال لي ليس ضروري أن تنام كل يوم بعد الظهر، دعنا ناخذ جولة في المدينة، اتجهنا نحو وسط المدينة ومن هناك اشترينا بعض الأشياء الخفيفة، حتى انتهت جولتنا، وبدأ بالاتجاه نحو منزلهم، أريدك أن ترى الكتب الجديدة التي اشتريتها، هذا ما قاله لي وهو يصر كما في المرة الأولى وكان له ما أراد، وصلنا إلى منزلهم الذي كان عبارة عن فيلا كبيرة، فتح لنا الباب الخارجي الكبير.

دخلنا ذلك الحوش الذي زرعت فيه أشجار ونباتات مختلفة، اتجهنا نحو مجلس الرجال الخارجي الذي عادةً مايستقبلون فيه الضيوف،والذي ينفصل عن البيت وطبعاً هذه ليست المرة الأولى التي أزور فيها بيت صديقي فقد سبق لي زيارته وأعرف أن غرفته، ومكتبته

تقع بالقرب من هذا المجلس، فلم تكن هذه المرة الأولى التي أزور فيها بيتهم، وفي كل مرة آتي إلى هنا أقوم بزيارة الى المكتبة لاطلع على مافيها واخذ منها بعض الكتب لاقرأها ثم أعيدها، المهم بعد دخولنا الى المجلس بدقائق أستئذن صديقي بالخروج لإحضار شيء نشربه.

رغم عدم حاجتنا اليه فقد أحضرنا معنا الكثير من المشروبات، تأخر قليلاً في العودة فشعرت بالملل وقررت الذهاب الى المكتبة لعلمي المسبق أنها ليست متصلة بالبيت ولن يُنكر علي صديقي فعل ذلك، لذا قررت الذهاب اليها وليتني لم أذهب.

فتحت باب المجلس وأتجهت نحو بابين وغرفتين أحداهما المكتبة والثانية غرفة صديقي، أحترت في البداية بعض الشيء وظننت أني نسيت أي باب هو باب المكتبة، لكن لم أهتم فمهما يكن.

الباب الأخر هو باب غرفة صديقتي حتى لو أخطأت، وهي كما ذكرت منفصلة عن بيت العائلة الكبير ولايجمعهما سوى هذا الحوش الكبير، أقتربت شيء فشيئاً نحو أحد البابين المغلقه ولا أدري ما الذي أعتراني بدا قلبي ينبض بقوة ويدي ترتعش وأنا أجهل سبب ذلك.

وصلت يدي الى يد الباب أدرت المقبض وقلبي لا أدري مابه تزداد ضرباته أكثر فأكثر، دفعت الاب الخشبي الكبير الى الداخل لارى ماذا يوجد خلفه هل المكتبة أم غرفة صديقي، أطلقت بصري الى داخل الغرفة لأرى مابداخلها فرأيت شيء لم أرى مثله أبداً في حياتي، ولا أعتقد أني سأرى مثله أبداً، إزدادت ضربات قلبي حتى ظننت أنه سيتوقف.

أحسست بأن الدم تجمد في عروقي، تصلبت يدي على الباب وساقاي تخشبت، واقف أنا ولا اشعر بما حولي، احسست بأن جسمي كله لم يعد ملكي أحاول أن أتحرك أن أسيطر على الوضع فلا أستطيع، عيناي شاخصتان نحو الداخل، نحو هذه المفاجأه الغير متوقعة لم أرى كتبً ولامكتبة، ولم أرى صديقي ولا غرفته، رأيت شيء قلب كل الموازيين في حياتي بعد رأيته، رأيت زهرة رأيت وردة رأيت فراشة رأيت قمراً رأيت فتاة ليست كمن رأيت من الفتيات رأيت شيء لولا أني رأيته ولولا أن هذا وصف للجنة لقلت ما لاعين رأت من قبل.

هل الوقت الذي مر وأنا أنظر اليها كان طويلاً أم قصيراً كم مر من الوقت وأنا أقف على الباب، أتأمل فيها أنظر الى هذه اللوحة الرائعة الملقاة على سرير صديقي، لم أشعر بالوقت،ولم احس به، لحظات لا ادري كم كانت عدت بعدها الى الواقع ففكرت بصديقي وماذا لو رأني

على هذا النحو وهذا الحال، واقف أتامل هذه الفتاة النائمة التي ربما تكون أخته وإن لم تكن أخته فمن المؤكد أنها أحدى قريباته، بالطبع لن تكون زوجته لعلمي بأنه غير متزوج.

أسترجعت أنفاسي وبدأت أسحب نفسي الى الخلف وعيني لازالت معلقه عليها، حتى أغلقت الباب تماماً، بكل هدوء وحذر حتى لا تشعر تلك الفراشة بوجودي أو أكون سبب في أزعاجها أو أيقاظها، عدت الى المجلس والى مكاني الذي تركني فيه صديقي وأنا أعيش في بحر من الخيال صورتها لم تفارق مخيلتي، مازلت أراها ماثلة أمامي، مازلت أراها بكل تفاصيل تلك اللوحة المذهلة.

عاد صديقي وقال كلاماً كثيراً لم افهم أو أسمع منه سوى المعذرة تأخرت عليك كثيراً لقد جاء ضيوف الى منزلنا جأت أختي وزوجها وأبنائها من مدينة.. (مدينة أخرى مجاورة للمدينة التي نحن فيها)

حينها عرفت أن وقفتي على الباب كانت طويلة.. طويلة جداً ولكن لم أشعر بذلك، بعدها قال لي أسمح لي دقائق أخرى أذهب الى غرفتي لارى بنت أختي أسلم عليها وأعود اليك، عندها عرفت أيضاً أن تلك الفراشة التي كانت نائمة في غرفته هي بنت أخته وهو خالها.

حمدت الله أنه لم يرأني وأنا استرق النظر اليها في غرفته، شعرت بشئ من الذنب وتأنيب الضمير لأني فعلت مافعلت بحق صديقي العزيز، ولكن كل ذلك حصل بغير أرادتي ولم أكن على علم به وبما قد يحصل هناك، رجع الي بسرعة لم يتأخر فسألته مستغرباً لماذا عاد بهذه السرعة فقال لي أنها نائمة متعبة من السفر على البر بالسيارة كل تلك المسافة.

بعد ذلك طلبت منه أن يوصلني الى حيث أخذني لكي يتسطيع الجلوس مع ضيوفه، ولكي أصحوا أنا من ما أنا فيه، حاول أن يبقيني لكني هذه المرة رفضت قطعاً البقاء، فأوصلني الى حيث شئت، ورجع الى منزله رجع الى المكان الذي ضيعت فيه عقلي وتركت فيه قلبي، اما أنا فعدت الى غرفتي مازال هناك بعض الوقت لأخذ قيلولة، أخذت وردة حمراء كانت على الطاولة لا أدري متى أحضرتها الى هنا، واستلقيت على السرير واحتضنت وسادتي وأستنشق عبير تلك الوردة.

عدت أفكر فيما رأيت، فأذا بي أراها أرى صورتها أمامي واقف مرة أخرى على ذلك الباب لم أتحرك وعيناي لم تفارق وجهها الملائكي، ربما كان الوقت فجراً الشمس أشرقت والظلام ينجلي، الحان موسيقية عذبة تشدوا بها العصافير المختلفة الاشكال والاحجام والالوان على أغصان الاشجار المنتشرة حول هذا

البيت، بدأت الشمس ترسل أول خيوطها لتدخل عبر نافذتها التي كانت نصف مغلقة ، تدخل مع خيوط الشمس نسمات عذبة من الهواء الصباحي النقي والمنعش، الذي بدا يداعب ستائر هذه النافذة.

استمرت هذه النسمات الباردة قليلاً والرطبة بالتقدم حتى وصلت الى مزهرية موضوعة على طاولة بجانب سريرها وبداخلها ورود حمراء اللون زاهية مخضرة، فتحركها تلك النسمات ويطير معها عبير تلك الورود فيفوح العطر ويملئ كل زاوية من زوايا الغرفة.

تطير هذه النسمات التي تزداد سرعتها أوراق صغيرة لهذه الورود وتنثرها في أرجاء الغرفة لتصل منها ورقة صغيرة حمراء مشبعة بالعطر وتستقر على خد تلك الفاتنة الذي يتلالاء وكانه قطعه من القمر وقد تناثر عليه خصلات من شعرها الحريري الأسود.

وصلت أشعة الشمس اليها فلامست بحنين وجهها الذي يزداد بريقاً ولمعاناً وكأنه مرآة عكست هذا النور الساطع، لحظات أو أقل من لحظة وبينما هذه الوردة مازالت نائمة على سريرها الأبيض المرصع باوراق الوردة الحمراء المتناثرة عليه، هناك تنام قمري وردة بيضاء جميلة ملقاة على بساط من الثلج المرصع والمزيين بحبات من العقيق الأحمر هناك جمالٌ يأسر

كل العيون وكل القلوب، هناك تنام أميرة ببرأة طفلة، هناك السحر والجمال الجنون والخيال، هناك تاج الحسن هناك حط كل شيء جميل ورائع رحالة.

من هنا يبدا العشق وهنا ينتهي، من هنا أبحر الحب وهنا رسى، من هنا أنطلق قطار الهيام وهنا توقف في رحلتة الاخيرة، من هنا تشرق الشمس وهنا أكتمل القمر، هنا النفس تثمل بلا خمر، والجسم يحترق بلا نار، والقلب ينزف بلا دماء ولاجراح،هنا ابتدأت القصة، وهنا ليس للقصة بقية بعدها، على هذه الصورة تعيش مسجوناً ماسوراً بلا سجن ولا أسر ولاسجان، هنا تعيش مقيداً بعينيها بلا قيود، هنا تستطيع العيش بلا هواء أنا حقاً لا أتنفس وأنا في حضرتها، هنا تعيش بلا أصحاب ولا أحباب لاتريد أحداً سواها، هنا يحتار الكتاب والأدباء والشعراء في وصفها.

هنا يخرس الفصيح، ونيوتن لن يعرف سببً لتساقط القلوب بين يديها، هنا توقف كل شيء، هنا وقف الزمن ليأخذ بعض أنفاسه، غار منها وعليها الورد الذي بجانبها فعانقها، اقتربت منها ببطء شديد حتى وصلت إليها وقفت عند رأسها وهي ملقاة على السرير بكل براءة الطفولة وجمال الكون، مغمضة العينين برموش طويلة، كنت أحسبها نائمة ولاتعلم بوجودي ولكنها لم تكن كذلك أغمضت عيناها أو هكذا خيل لي، حتى

تعرف ماذا أفعل وتسمع ماذا سأقول. جثوت على ركبتي بجانب سريرها ووضعت صدري على حافته، وأمسكت بيدها برفق فأحسست بدفئها وخفت أن أوقظها ببرودة يدي، أنظر إليها بلا ملل إلى كل تفاصيل وجهها الملائكي.

حدقت فيها حتى تعبت عيناي من التحديق كنت أريد أن أملي عيني منها، ولكني لم أكتفِ ولم تمتلئ عيني، كان بودي لو أستطيع لمسها أكثر ولمس وجهها وإزاحة خصلات الشعر المتناثر على وجهها، كنت أتمنى لو أستيطيع مداعبة شعرها، خفت أن تصحو لتراني بهذه الصورة وهذا المنظر مذهول مشدود مندهش، فتذكرت أبيات لا أدري من هو صاحبها فقلتها بهمس : نصب الجمال عرشة فسألنا من ترئها له فدلى عليكِ قتل الورد نفسه حسداً وألقى دماه في وجنتيكِ والفراشات ملت الزهر لما حدثتها الأنسام عن شفتيكِ، لا أدري هل سمعت ما قلت أم لا هل أحست بما أحسست به أم لا، هل وصلت إليها مشاعري، هل رأتني؟

هل ستعرفني إذا رأتني مرة أخرى أم لا؟

أسئلة كثيرة تعذبني ولا جواب، أعدت يدها إلى مكانها بلطف وأنا أنظر إلى الساعة التي بجوارها ولم يتبقى على توقيت المنبه إلا ثواني معدودة وسيصدر صوتٌ

ليوقظها، وقفت على رأسها لا أدري ماذا أفعل، أنظر للساعة وللباب ولها، الله أكبر صوت المنادي لأذان العصر، هذه المرة هو الذي أخرجني من هذا الحلم الجميل، حلم أخر يتعبني بكل تفاصيله، ولا شيء معي وليس بجانبي سوى مخدتي التي أحتضنها والوردة التي كنت ممسكاً بها قبل أن أنام.

وضعتها على الطاولة واتجهت نحو الخارج، توضأت وذهبت للصلاة مع جاري وصديقي، انتهت الصلاة، عدنا إلى محلاتنا، مر الوقت وأنا أحاول ترتيب ذلك الحلم هل ذهبت مع صديقي حقاً إلى بيتهم؟ هل ما رأيته كان حلماً أم حقيقة؟ هل أتصل بصديقي وأسأله إذا كان قد رآني أو جلست معه اليوم؟ ماذا سيقول عني، سيضحك سيقول بأني جننت.

مر الوقت حتى جاء وقت صلاة المغرب، فالعشاء، الساعة العاشرة مساءًا، أحضر لي صديقي وجاري وجبة العشاء، أكلتها ثم كنت أطالع بعض الكتب وأقوم بتلبية طلبات الزبائن وهكذا، حتى قبل الإغلاق بساعة تقريباً حيث يقل عدد الزبائن أخذت واحداً من الكتب وجلست أقرأ، دقائق مرت فإذا بسيارة عائلية كبيرة الحجم تقف أمام الباب ما لفت انتباهي لها من بين كل السيارات هو ضوؤها القوي المسلط على عيوني.

أرفع عيني مرة أخرى وإذا بي لا أرى من قوة الضوء القادم من مصابيح تلك السيارة، قمت من مكاني واتجهت نحو الخارج حتى أكلم سائقها عن ضوء سيارته الذي أزعجني وأعماني، لم أصل إلى الباب حتى قام هو من تلقاء نفسه بإطفائها، كنت سأعود أدراجي لو لا أنني رأيت أحد الابواب التي في الوسط تفتح فأحسست قبل حتى أن أرى شيئاً.

أحسست بأن صدري هو الذي انفتح، رِجلٌ تتدلى منه حتى وصلت إلى الأرض ووقفت تَبعتها الرجل الأخرى، وظهرت يدٌ أمسكت بالباب، هنا بدأ قلبي ينبض وكأنه كان قبل ذلك واقف معطل، ماهذه الأيدي والأرجل؟ إنها وربي قطع من الثلج، كيف تكون صاحبتهما؟ وقف عقلي عاجزاً عن تخيل ذلك، بينما هي مستمرة بالوقوف وراء الباب، يبدوا لي أنها تحدث شخصاً آخر كان راكباً بجانبها.

لحظات ويا أجملها من لحظات ظهرت صاحبة تلك الأيدي، وكانت من الحسن بما لامجال ولاقدرة لي على وصفها، إنها لم يتردد عقلي بالقول أنها ليست من البشر أنها ملاك، دفعت باب السيارة بهدوء لإغلاقه وأنا أتأملها بتفكر، رأيت ماذا رأيت وكأني ما رأيت، أحاول أن أثبت نظري أحاول أن أحدق أحاول أن أرى تفاصيل تلك الأميرة كل شيء فيها أجمل من الآخر، خانتني

عيوني وكأنني أنظر في عين الشمس ولا أرى سوى هالة من الضوء، لا أدري ماذا كنت أقول.. ربما كنت أقول يارب وهذه الحسناء.. أي حسناء، الحسن وحده لا يحتويها، لا يصفها كما يجب ولا تعبر حتى عن أصابع يديها التي تشبه اصابع البيانو، تأتي إلى هنا، إلى محلي هذا وتشتري الورد الذي لايليق إلا بها ولها، لا أفكر هنا بالبيع والشراء والفائدة المالية إنما فكرت فيها أن تأتي، ولا يهم شيء آخر.

أخذت تخطو فوق البلاط الذي أمام المحلات، وكأن كل قطعة من هذا البلاط تهنئ جارتها لأنها داست عليها، والقطع الأخرى تواسي بقية البلاط الذي لم تمشِ عليه، أين ولدت هذه؟ أي بطن حملتها؟ أي أرض أقلتها وهي تمشي وتلعب وتكبر عليها وفوقها؟ وأي سماء أظلتها؟

لم أكن قبل رأيتها أصدق أنه قد يكون للبشر جمال كهذا، تحطم قلبي وأنا أراها تغير اتجاهها وتذهب نحو محل آخر غير محلي بينما أنا أتابعها بشغف محب وبجنون عاشق، وكأني أتابع قلبي وهو يمشي على الأرض، إنها تمشي بخطى واثقة هادئة وكأنها تعد خطواتها، وكأنها لا تمشي فوق البلاط إنما على الماء، أخذتها خطواتها تلك نحو محل آخر حتى غابت عن عيني، فتنهدت بحسرة وقلت ما لنا في الطيب نصيب.

لكني ظللت واقفاً بلا حراك، يأتيني أحدهم فيسألني عن شيء موجود ويريد أن يشتريه، فأقول له وأنا شارد الذهن: لا، لا يوجد هذا الشيء عندي، مع أنه موجود لكن خفت أن أنشغل بغيرها، أن يشغلني هذا الزبون فلا أراها عندما تعود، انتظرتها واقفاً أستنشق عبير تلك الزهرة التي مرت منها وعطرت الزمان والمكان.

لحظات - أو دقائق لا أدري - وإذا بها تخرج وإذا بالشمس تشرق مرة أخرى بعد أن حجبتها الغيوم لثواني، عاد قلبي لحالته السابقة إذ يخفق بقوة حتى أنها لو مرت بجانبي الآن لسمعته وهو يخفق لها ومن أجلها، أتمعن فيها وفي كل تفاصيلها، وأسال وأجيب هل هي من البشر، إذا كانت كذلك فكيف هي الحور العين إذاً؟

أقارنها بمن رأيت من قبل من النساء الكثيرات فإذا الفرق شاسع بينهما، فرق السماء عن الأرض، هي غزالة لكنها تمشي على رجلين هي فراشة لكن من غير جناحين، هي وردة لكنها ليست قابلةٌ للبيع مثل هذه الورود التي أبيعها هنا، تقدمت وأنا لا أستطيع أن أنظر إلى سواها.

لاحظت أنها تتجة بتلك الخطوات الملكية نحوي ونحو محلي لم أصدق ذلك، فوقفت صامتاً وجامداً في مكاني، حتى إذا وصلت كاد قلبي أن يطير، ابتعدت عن الباب

قليلاً حتى أتيح لها المجال بالدخول، أنت هنا قالت وهي تشير للمحل، خانني لساني، أذني، عقلي، خانتني كل أحاسيسي وأنا أستمع لصوتها العذب الذي يشبه صوت ناي، وأغرق في عينيها الواسعة، أحسست بأن لساني ثقيل جداً، ماهذا ؟ تباً لي، ماذا جرى لي، أغمضت عيني بسرعة وحاولت أن أسيطر على نفسي، كي لا أبدو كالأبله أمامها، هززت رأسي: نعم أنا هنا، تفضلي، سحبت هي الباب لأنها كانت الأقرب إليه وهو باب من الزجاج طبعاً، كنت مشتتاً لا أدري على أي شيء أركز نظري.

كنت كما قال نزار (طفلٌ ضائعٌ مابين آلاف الهدايا) هممت باللحاق بها وأنا أنظر إلى يدها الممسكة بيد الباب، أظفارها متوسطة الطول مطلية بلون وردي، لم تدخل وقفت وهي ممكسة بالباب وتنتظر دخولي أولاً، ارتبكت أكثر وتعلثمت، توقفت وأنا أصر على أن تكون هي أول من يدخل، دخلت وأنا أغلقت الباب ولحقت بها وأنا أحدث نفسي عن هذا الحلم الذي تحقق بهذه السرعة، ما هذه الدعوة التي أستجيبت لي بهذه السرعة وأتت بها إلي، وإلى محلي، سألتني عن أشياء كثيرة وعن أسعارٍ وعن ألوان وتشكيلات وأسماء الورود، لا أدري حقيقةً بماذا كنت أجيب ولا ماذا أعطيتها، ولا كم كان حسابها وكم أعطتني، لكنها شعرت وأحست بي وبتوهاني.

ياالله!!

مـا أجمـل عيونهـا وكلامهـا كنـت أتمنـى لـو تسـتمر فـي الكـلام وأنـا أسـتمع فقـط وأتامـل عينيهـا التـي لـو نظـرت إليها الدهر كله لن أكتفي منها.

ياالله!! ما هذه العيون؟ هذه العيون لوحدها تجعلك ثملاً بلا خمر، لا أدري ما لونها سوداء..

عسلية.. خضراء.. زرقاء.. قرمزيـة.. مـاهو لونهـا؟ هـل لها لون معروف ؟ لا أدري، كل مـا أعرفـه أن فيهـا من السـحر والجمـال مـا لا طاقـة لـي ولقلمـي بوصـفه أو تشبيهه، لأول مـرة أرى كـل الأشـياء مجتمعـة فـي أنثـى واحدة، من الجمال وخفة الدم إلى شكل الأصابع والجسم المنحوت بعناية نحات بارع، إنـي أرى فـي اليوم الواحد عشـرات النسـاء لكـن هـي قصـة أخـرى، هـي حكايـة مختلفة.

لـم تخطـف أنثـى قبلهـا عقلـي وقلبـي بهـذه الطريقـة، لـم يربكني ويزلزلني ويجذبني غيرها، إنها آخر حكاية من حكايا الفتنة والجمال، حاولت ترتيب أوراقي المتساقطة والمتطايرة التي بعثرها إعصارها القوي والمفاجئ قبل خروجها، نظرت إليها بإنصات وتمعن، فرأيت خصلاتٍ من شعرها تتدلى على أذنيها وأطراف وجهها، شعر

أسود أو ربما بني بأطراف شقراء أو ربما هو العكس، تضع فوق هذا الشعر وفوق رأسها غطاء رقيق يتدلى حتى كتفيها وملفوف لفة واحده حول عنقها، ماذا أقول؟ ماذا أفعل؟ إنها الفرصة الوحيدة وربما الأخيرة والتي لن تتكرر، ماذا أقول وأنا الحاضر الغائب في حضرتها، ما كنت متأكداً منه هو أنها تدري بأنها قد سلبت عقلي وقلبي وكل حواسي، فلا زالت تبتسم كابتسامة طفلة، فقلت لها عندما تنظري إلى نفسك في المرآة ماذا تقولين، ألا تقولين كم قلباً سأجرح وكم روحاً سأذبح؟ ألا ترحمين قلوباً لاتتحمل كل هذا مثل قلبي؟ ضحكت ضحكةً لا أعرف مقصدها أو معناها أو سببها، ولا أدري حقيقة هل قلت هذا الكلام لها أم لا، لكنَّني سمعت ضحكتها الجميلة يتردد صداها في أعماقي أحسست بأن الكون كله يضحك ببراءة، قلت حينها بيني وبين نفسي لو أن لي دعوة أخرى مستجابة بنفس سرعة استجابة الدعوة الأولى لتمنيت أن يتوقف الزمان، هنا أن يتوقف العالم هنا عند هذه اللحظة، لكن للأسف لم تتحقق أمنيتي أو يستجاب لدعوتي، أخذت ما جهزت لها من الورد، وأخذت معها قلبي، وقالت مودعة وهي تبتسم: شكراً لك.

كان بودي لو أقول لها كلاماً كثيراً قلته في نفسي، لكنها لم تسمعه، فتحت الباب وأخذت تخطو خطواتها الخفيفة الثقيلة الهادئة التي يثور لها كل ما حولها، حتى الورد

مال وهو في باقته نحوها، وكأنه مثل قلبي أراد اللحاق بها، وصلت إلى سيارتها بينما أنا أتابعها في كل خطوة، فتحت الباب ونظرت إليَّ نظرة تسأل تقول فيها: هل فعلاً أنا أخذت قلبك معي وسلبت عقلك ؟ هل ما قلته وما سمعته منك كان صحيحاً وكنت فيه صادقاً؟

هل الحالة التي رأيتك عليها كانت حقاً بسببي أنا؟ فقلت لها اسألِيني وأجيبيني لملميني وانثريني، اسجنيني وأطلقيني، اسحقيني وإن شئتِ أحرقيني، نحن سكوتٌ والهواء يتكلم، دخلت السيارة وأغلقت الباب، قامت بإنزال زجاج السيارة نظرة أخيرة، نظرت إليها نظرت استعطاف أطلب منها العودة أو تعيد لي قلبي، تحركت السيارة وذهبت وأنا ألاحقها بنظراتي، غابت تلك السيارة ولم تغب تلك الفتاة التي بداخلها، وقفت طويلاً أفكر ثم عدت إلى الداخل وجلست وأنا أفكر فيما حدث لي قبل قليل.

ماذا حصل لي قبل لحظات، زلزال ذاك الذي كان يهزني أم إعصار، أو هذا ما يسمونه الحب، الحب من أول نظرة، لا ليس حباً، ربما إعجاب، لا ليس إعجاب، إنه عشق، لا لا ليس عشقاً إنه هيام، لا لا ليس هياماً إنه غرام، لا لا لا، صديقي يصحيني ماذا جرى لك هل أنت بخير بينما أنا اقول له لا لا لا، أصحو من تلك الغفوة، أنظر إلى هنا وهناك، أقول أنه حلم آخر، أضع الكتاب

الذي كنت أقرأه قبل أن تأخذني تلك الغفوة، وأمسك قلماً قبل أن أغادر بعد صاحبي لانتهاء الدوام والعودة إلى البيت، وأكتب..

أمد يدي إلى صدري

وألمس قلبي المطعون

أفتش عن أثر فاعل

ذبح روحي المحزون

أقلب كل أشيائي

لأرى الطائر المسجون

أبحث في كل كتاباتي

لأعرف سره المكنون

ألملم كل أوراقي

وأكتب عليها العاشق المجنون.

❊ ❊ ❊

obeikan.com

ريلام

اليوم وصلتني صورها وصور زفافها في لندن، مشاعري مبعثرة لا أدري هل الدموع التي طفرت من عيني دموع فرح من أجلها؟ أم حزن عليها وعلى ذكرياتي الجميلة معها ؟ تبدو أجمل بمئات بل بملايين المرات وهي بالفستان الأبيض وقد كانت جميلة دوماً، لكن شكلها اختلف قليلاً، لقد ازداد طولها وامتلأ عودها؛ واتسعت عيونها ونفر نهدها وتبدو واثقة وسعيدة أكثر من أي وقت مضى.

obeikan.com

أتمنى أن تظل هكذا إلى الأبد، لقد كانت حزينة ومكتئبة يوم عرفتها في البداية. ستة أعوام مرت على معرفتي بها.. آه، كيف تمر الأيام مسرعة تاركة ورائها الذكريات فقط ؟ تعود بي الذاكرة إلى الوراء فأراها الآن على شرفة منزلهم.

تجلس بهدوء على الكرسي الذي رأيته آخر مرة وحيداً؛ لا أحد يجلس عليه، حتى لونه قد غيرته الشمس، لقد كنت أسترق النظر إليها في كل مرة أدخل فيها وأخرج من مقر عملي قبل أن أتشجع أكثر فأجلس أمام الباب؛ لكن ما حيرني في البداية هو جلوسها الطويل بلا حراك تقريباً؛ لاتحرك سوى عينيها ورأسها؛ وأحياناً أخرى أراها تمسك بكتاب - مجلة مصورة هذا ماعرفته لاحقاً -وتقلب صفحاته وأحياناً اخرى تمسك بجهازها؛ وبين كل لحظة وأخرى تنقل بصرها ليطوف بما حولها وحول بيتهم ؛ ثم تعود إلى حالتها السابقة.

في البداية كنت أنظر إليها دون أن أنتبه إني صرت مهتم بها حتى مرت فترة من الزمن، بعد ذلك ازداد اهتمامي بها؛ وكنت أحزن إذا نظرت إلى مكانها ووجدته خالياً، لقد كنت أعمل في مبنى تابع للخطوط الجوية - مركز تدريب - كانت وظيفتي حارس أمن لهذا المبنى ؛ وكان بيتهم في الجهة المقابلة، مرت الأيام ولاحظت أن الاهتمام أصبح متبادلاً، بل إنها كانت

تستقبلني في الصباح بابتسامة وإشارة بيدها ؛ وكأنها تقول لي صباح الخير ونفس الشيء عندما أغادر في المساء؛ وفي يوم من الأيام وبينما أنا جالس في الخارج بعد العصرأشرب الشاي وأقرأ كتاب- ليس للحب أوان لفاروق جويدة - حصلت عليه من أحدهم، كنت أقرأ وأسترق النظر إليها بين كل كلمة وكلمة ؛ وسطر وآخر وفاصلة وأخرى؛ وعند كل نقطة أتوقف لأمعن النظر إليها، لم يكن يقطع هذا الجو الجميل إلا رؤيتي لأحدهم قادماً نحوي ؛ فكنت أغير من وضعية جلوسي حتى تفهم هي ذلك ؛ وتعود إلى الخلف قليلاً حتى لايراها هذا القادم.

وفي مساء ذلك اليوم وقبل أن أغادر رأيتها تشير لي بيدها إشارة مختلفة عن كل يوم ولمحت ورقة في يدها، بعد ذلك قامت برميها في اتجاهي وتشير لي نحو تلك الورقة، فهمت أنها تطلب مني أن أتقدم لأخذ الورقة.

المساء بهدوءه وجنوده يزحف، بقي على مغادرتي وانتهاء الدوام نصف ساعة؛ استغللت قدوم المساء وقبل أن تضاء المدينة بالأنوار وتقدمت نحو بيتهم؛ وأنا أنظر تارةً إليها وتارة أخرى أنظر إلى مكان سقوط الورقة ؛وهي كالقمر على شرفتها تلبس شيئاً أبيضَ ؛لكن لا أدري إن كان فستاناً أم شيء آخر، تمنيت تلك اللحظة لو أستطيع الصعود إليها؛ لو تظهر أمامي درج أو حتى

سلالم تأخذني إليها؛ لكن لم يحدث شيء من ذلك؛ وصلت إلى المكان الذي من المفترض أن تكون الورقة قد سقطت فيه؛ التفت يميناً ويساراً ولكنني لم أجدها، التفت إليها؛ فإذا بها تبتسم كالملاك وتشير لي إلى مكان الورقة؛ ابتسمت أنا والتقطت الورقة، في تلك اللحظة لم أكن أعرف ماذا يجب علي أن أفعل؛ لم تسعفني الذاكرة بأي شيء.

ماذا أفعل؛ هل أفتح الورقة وأقرأ ما بداخلها الآن؛ أم أكلمها من هنا أم أقول لها مساء الخير؛ ارتبكت وأعتقد أنها لاحظت ذلك فأشارت لي بيدها مودعة مثل كل مساء، لا أدري حتى اللحظة ماذا فعلت حينها؛ وكل ما أذكره هو عودتي إلى مكاني السابق؛ وبلهفة فتحت الورقة لأقرأ ما كتب عليها لقد كان خطاً رديئاً جداً، آسف إن كنتِ ستقرئين هذا- حتى إن الكلمات لم تكن على السطر بل تصعد إلى السطر الأول وتنزل إلى السطر الثاني؛ بالإضافة إلى الأخطاء الإملائية الكثيرة التي كنت أفترض لها الأحرف الصحيحة مكان الخطأ، لأعرف ماهي الكلمة، لكن هذا لم يكن مهماً.

لقد كنت سعيداً جداً بهذه الورقة وبهذه الكلمات، حتى أني مازلت أحتفظ بها في صندوق الذكريات، لقد كتبت لي – بعد التعديل - اسمي ريلام، ما اسمك أنت؟ أين

تسكن ولماذا تجلس هنا من الصباح إلى المساء؛ هل تدرس؟ لماذا تنظر إليَّ - إلى هنا – دائماً؟

حروف كتبت ببراءة عرفت حينها أنها صغيرة جداً؛ وربما علي أن أغير من نظرتي اليها لكن شكلها كان يقول لي بأنها ليست طفلة؛ إنها فتاة تبلغ من العمر ستة عشر عاماً تقريباً أو أكثر.

ماذا أكتب لها وكيف أرد عليها هل عليَّ أن أسألها نفس الأسئلة؟ حتى أنا أريد أن أعرف لماذا تجلس هناك كل هذا الوقت؛ ولماذا رغم ابتسامتها تبدوا حزينة؟ ولماذا تجلس وحيدةً هناك؟ في صباح اليوم الثاني رأيتها في الجهة الثانية للشرفة؛ وكأنها ترقب وصولي بل وانتظرت كثيراً؛ لذا غيرَت حتى مكانها لتتمكن من رؤية أول القادمين من رأس هذا الشارع الطويل.

إنها تنتظرني وتنتظر ردي أيضاً، هي لا تعلم أن رسالتها تلك قرأتها عشرات المرات؛ ولا تعلم أيضاً أني كتبت لها عشرات الرسائل ومزقتها، لم أكن أعرف ماذا أكتب لها وبأي صفة أكتب، لم أكن متأكداً من أي شيء، هل أكتب لها كطفلة أم كصديقة أم كحبيبة كنت خائفاً أن يخذلها ردي؛ أو يخيب ظنها أنني كتبت لها بطريقة تختلف عن توقعاتها. لذا أنا لا أحمل هذا الصباح أي رد.

انتظرت حتى وصلت إلى أقرب مكان منها ورفعت يدي، وأنا أردد بيني وبين نفسي صباح الورد رفعت هي الأخرى يدها وهي تبتسم ابتسامة خفيفة، كانت تنتظر مني أن أذهب إلى نفس المكان الذي أخذت منه الورقة بالأمس لأعطيها ورقة - رسالة - الرد لكنني لم أفعل ذلك، لقد تصرفت مثل كل يوم، وما حدث ليلة أمس يحدث الآن، أكتب رسالة ثم أمزقها، من أين أبدأ؟ وقررت أخيراً أن أكتب بنفس طريقتها لا سلام ولا تحية ولا أي شيء، إنما أكتب مثلها الاسم ثم أجيب على تساؤلاتها، ثم أطرح أسئلة ؛وهذا ما حدث بالفعل.

"اسمي فادي، لا أدرس فقد أنهيت دراستي؛ وأنا أعمل هنا حارس أمن لذا تجدينني أجلس هنا دائماً، أسكن في نفس الحي في الجهة الأخرى منه،وأما لماذا أنظر اليك فلا أعلم السبب!! بعد ذلك سألتها (كم عمرك؟ ولماذا تجلسين هنا دائماً؟ هل تدرسين؟
وعندما انتهيت انتظرت إلى المساء وعندما خرجت لتجلس على الكرسي، انطلقت نحو بيتهم وعندما وصلت وقفت تحت الشرفة، وقفت وهي تنظر إليَّ وأنا في الأسفل وتزيح خصلات الشعرعن وجهها وتبتسم، لم أنطق بكلمة ولا هي، وإنما أخرجت الورقة وقد لففتها بورق جرائد لكي لا يأخذها الهواء ورميتها باتجاهها باتجاه الشرفة؛ وعدت إلى حيث كنت وأنا أنظر إليها تأخذ الورقة وتجلس على الكرسي؛ وبسرعة تفتحها

حتى أنها نسيت أن تنظر إليَّ أو تودعني، هذا المساء منذ أن عرفتها أعود إلى البيت بلا وداع منها؛ لقد انشغلت عني بالرسالة – عرفت لاحقاً أنها لم تكن تجيد القراءة والكتابة بشكل جيد بل تحتاج إلى وقت لتهجِّي الكلمات..- غداً يوم الجمعة وهو يوم أجازة، لقد بدأت التفكير بها، وبماذا سترد من الآن،كيف سأصبر إذاً إلى أن يأتي يوم السبت، لقد سهرت إلى ساعة متأخرة لكنَّني رغم ذلك صحوت مبكراً مثل كل يوم من أيام العمل، حسناً سأعترف هي السبب – ريلام – هي من جعلتني أصحو باكراً، لذا قررت أن أذهب إليها حتى وإن كان يوم أجازة ؛ ماذا لو لم تكن موجودة هل أنتظر أم عود سأقرر لاحقاً.

أتجهت نحو الخارج فرأيت الشوارع خالية من أي حركة لا مركبات ولا بشرهنا!

هل يحدث هذا صباح كل يوم جمعة أنها المرة الاولى التي أصحى فيها باكراً في يوم الجمعةاذاً لست الوحيدالناس كلها تنام في مثل هذا الوقت من كل جمعة.

أتجهت بخطوات بطيئة نحو مقر العمل - أقصد نحو مكان وجودها – سيارة تقف بالقرب مني يُطل منها جاري حسان ويدعوني الى أن أركب في سيارتة ؛ لقاء في غير وقته واوانه الى أين يذهب في هذا الوقت

المبكر؛ وماذا أقول له لو سألني نفس السؤال؟ أصر على أن يوصلني الى مقر عملي بعد أن كذبت عليه بأن هناك مسئول في الخطوط الجوية قرر فجأة زيارة مركز التدريب اليوم – اظن أنه لم يصدقني – ؛ ولكنه تظاهر بعكس ذلك أما أنا فنسيت حتى أن أسأله.

عندما وصلت بسيارة حسان اول شيء نظرت اليه هو بيتهم وبالتحديد شرفتها لم تكن موجودة حيث تجلس دائماً أصبت بخيبة أمل كبيرة لكني قررت أن أنتظر قليلاً لم أكد أجلس على الكرسي أمام البوابة حتى رأيتها تخرج للشرفة بشعر مبعثر وغير مرتب؛ بل ماصدمني هو حركاتها التي أن دلت على شيء فأنما تدل على أنها طفلة؛ أو ربما أبعد من ذلك قد تكون مختلة عقلياً -أسف لهذا أيضاً ولن أذكر ماهي الحركات التي كانت تفعلها أخاف أن أجرحها أو أجرح شعورها وكبريائها أن هي قرأت هذه الكلمات يوماً ما – أظن أنها لم تنتبه لوجودي هناهي تعرف أن اليوم أجازة ومستحيل أن أكون هنا؛ وعندما لمحتني رفعة بيديها الاثنتين شعرها عن وجهها؛ وسحبته نحو الخلف وتهلل وجهها بأبتسامة كبيرة أظن أنها لم تصدق أني كنت هنا مع أنه يوم أجازة.

لقد تأكدت أني جئت من أجلها هي فقط؛ تُأشر لي بيدها مثل كل يوم وأنا لم أستوعب ما رأيته قبل قليل؛ وعندما لم ترى مني أي ردة فعل بل كنت واقفاً وجامداً بلا

حركة تذكرت ما كانت تفعله قبل قليل فنزلت يدها التي رفعتها ببطئ؛ ثم وقفت قليلاً وأستدارت وعادت مسرعة نحو الداخل أظن أنها كانت تبكي.لقد فهمت صمتي ووجومي هي لم تكن تريد أن أراها بتلك الحالة الغريبة!.

ها قد مر أسبوع كامل وأنا لم أراها بعد تلك الحادثة؛ حتى أن ستائر وباب هذه الشرفة لم يُفتح أبداًماذا جرى لها لعنت نفسي لأني كنت السبب في هذا لكن مافعلته كان خارج عن أرادتي لقد صُدمت!

مر أسبوعان لم أرى فيها ريلام. تعبت من التحديق في بيتهم ولكن لا أمل. أشتقت اليها كثيراً إضافة الى ذلك بدأت أخاف عليها ربما حدث لها شيء. هل ماحدث ذلك اليوم هو السبب؟

بلا شك ما فعلته ذلك اليوم أبعدها عني وربما للأبد؛ لكن ما أريده الأن هو الأطمئنان عليها فقط هذا ما اريده. في نهاية ذلك اليوم قمت بأغلاق البوابة الخلفية؛ والتأكد من أن كل شيء على ما يرام قبل أن أغادر؛ وعندما عدت الى البوابة الرئيسية لمحت شرفتها وقد أزاحت عنها الستائر من الداخل كان هذا الشيء لوحدة كفيل بأن يطلق الفرحة في قلبي.

لم أغادر رغم أنتهاء وقت الدوام بقيت هناك لفترة؛ حل المساء وأكتسح الظلام المكان تمنيت لو يبقى هكذا؛ ولا تضاء الشوارع والبيوت حتى لايراني أحد؛ ولكن لافائدة الانارة أضائت كل المكان، الشيء الجميل في هذا هو أن شرفتها أضائت ايضاً.

المح من ورا الزجاج أحدهم يتحرك ذهاباً وأياباً كل خمس دقائق تقريباًهل هذه ريلام؟ لم تمر نصف ساعة حتى رأيتها تفتح زجاج الشرفة وتخرج. نفس السؤال راودني هل هي ريلام؟ لا أنها ليست هي هذه تبدو طويلة ثم أن ريلام نحيفة هل ازداد وزنها هكذا خلال أسبوعين لم أنتهي من دوامة الافكار هذه حتى رأيتها تُاشر لي بمعنى تعال – أقترب – التفت يميناً ويساراً لا أدري ما السبب. هل لأتأكد من أن الدعوة لي!.

أم من أجل أن أتاكد أن لا أحد سيراني وأنا اتجه الى هناك، التفت اليها فأشأرت لي بيدها مرة أخرى. تقدمت وأنا اتلفت الى هنا وهناك الى أن وصلت الى ذلك المكان الذي أخذت منه الورقة سابقاً؛ وعندما توقفت ونظرت اليها أسقطت من يدها ورقة أيضاً بسرعة التقطت الورقة وعدت الى حيث كنت فوجدتها هي الاخرى قد دخلت من الشرفة بل وأغلقتها لم تكن ريلام من هذه أذاً؟

أحكمت اغلاق باب مركز التدريب؛ وأنطلقت عائداً الى البيت.

لم أستطع المقاومة بعد كل خمس خطوات كنت أخرج الورقة من جيبي أنظر اليها ثم أعيدها من غير أن أفتحها حتى أخرجتها آخر مرة ولم أستطع أن أعيدها، فتحتها وقرأتها وأنا أمشي في الشارع، خط جميل ومرتب وكلمات منتقاة بعناية، إنه مختلفٌ تماماً عن الخط الأول والرسالة الأولى، كنت أقرأ بلهفة، أريد أن أصل إلى آخر كلمة، وبنفس الوقت لا أريد أن تنتهي الرسالة، لكن عندما وصلت إلى هنا نسيت ما كُتب وما قرأت قبله تقول:أنا أختها وداد، لقد طلبت مني ريلام أن أكتب لك؛ (وبنفس الوقت لا أقول لك أنها هي من طلبت مني ذلك) هي تقول أنها مهتمة بك؛ ولا أعرف ماذا عنك أنت؛ وكيف تنظر إليها، لكن المهم في الأمر هو أنك لا تعرف عنها شيئاً. ما أكتبه هنا لم أخبرها عنه وأتمنى ألا تتغير معاملتك لها بعد أن تعرف.."أختي ريلام تعاني من متلازمة داون".

هذا المساء لا أحد على كوكب الارض مثلي وبمثل فرحي، أكاد أطير فرحاً حتى هذا الشارع الذي حفظني وحفظ إيقاع خطواتي فوق رصيفه كل يوم ذهاباً وإياباً، أظنه هذا المساء مستغرباً..

يسمع إيقاعاً مختلفاً، وتلك الأعمدة الكهربائية تنظر إليَّ عبر مصابيحها؛ وتبدو مندهشة جداً، أنا لا أمشي إنما أرقص.. نعم أرقص!

كيف لا وقد التقيت بها اليوم، بل ولمست يدها الناعمة التي خفتُ عليها من يدي أن تجرحها، وسمعت صوتها وكأنه عزف موسيقي، كل الذي قرأته ذلك اليوم عن (متلازمة داون) لم أجد في ريلام شيئاً منه.

فبعد أن قرأت رسالة أختها ذلك اليوم وحديثها عن (متلازمة داون) قلت في نفسي أين سمعت هذه الكلمة من قبل وأين قرأتها؟ وتذكرت أني درستها في مادة الأحياء عندما كنت في المدرسة.لكني نسيت كل شيء عنها وكل ما أذكره الآن الأسم فقط !.

ذهبت بعدها أجمع المعلومات عن (متلازمة داون) وأسأل عنها وقد أصبت بالرعب، لكن عندما التقيت بريلام لم أجد من تلك المعلومات التي جمعتها والصفات المذكورة أي شيء، لا ذقن صغير، ولا لسان كبير، ولا عيون مائلة بل رأيت عيون خضراء فاتنة، ووجه أبيض كأنه قطعة من القمر، لقد جلست معها نصف ساعة أو أكثر وكأنها ثانية، كنت مرتبكاً أكثر منها، وكأني أرى الأنثى وأسمع صوتها للمرة الأولى في حياتي وهذه حقيقة، لم أر أحد بجمالها وجمال صوتها؛ ولكنها تطيل

الصمت مع أني كنت أستدرجها للكلام حتى أستمتع بجمال صوتها، ثم أسأل نفسي بعد ذلك هل هذه تعاني من متلازمة داون التي قرأت عنها وأفزعتني بإعراضها وصفاتها وآثارها، لم أرَ أي شيء غريب فيها سوا ميلان رأسها – عنقها - نحو كتفها الأيمن ميلاً بسيطاً لايدركه إلا من يجلس معها لفترة؛ وإلا لا شيء يذكر من تلك الأشياء التي قرأتها، كنت متأكداً أنها مختلفة، مع أني تذكرت تلك الحركات التي كانت تقوم بها ذلك اليوم في الشرفة- ربما تكون حالة تأتيها بعض الأوقات فقط– بعد تلك الرسالة التي أستلمتها من أختها توالت الرسائل؛ وكانت أختها الكاتبة والبريد المرسل أيضاً حتى جمعتني بها ذلك المساء في الدور الاول من بيتهم عرفت أيضاً أنها كانت تراقبني من هناك في الاسبوعين التي أختفت فيهم عني؛ وحتى أكون صادقاً بعد أن قرأت عن متلازمة داون لم يكن أستمراري معها إلا مجرد تعاطف، لكن عندما رأيتها تغير كل شيء؛ وتعلقت بها أكثر من ذي قبل حتى صرت أقابلها في اليوم مرتين مرة في الصباح ومرة في المساء؛ ومن خلال كلامها الطويل معي تعرفت على عائلتها وكم عددهم وأين يعيشون.

عرفت أيضاً أن والدها يعمل كملحق في السفارة في لندن، وأنه متزوج من امرأة أخرى غير أمها؛ ويعيش

معها هناك ويأتي في الأجازات فقط الى هنا أو يذهبون هم اليه. عرفت أيضاً ان لها مدرسة فلبينية متخصصة للذين يعانون من متلازمة داون واكتشفت سبب حزنها وجلوسها وحيدة أكثر أوقاتها. تقول انها تكره أهتمام اهلها الزائد بها؛ وتُصر على انها لاتعاني من شيء؛ ولاتحتاج هذه المدرسة ولا التمارين والجلسات الخاصة؛ وتريد أن تعيش حياتها بحرية كأختها.

مر عام كامل وأنا مع ريلام كل يوم يمر أتعلق بها أكثر من اليوم الذي قبله؛ وهي الأخرى تتشبث بي وكأني فرحتها الوحيدة كثرت لقائُتنا وأزدادت من مرتين في اليوم الى ثلاث مرات؛ وأحياناً أكثر من ذلك أذا سنحت لي ولها الفرصة ذكرى لقائنا الاول كان بالأمس..

أحتفلنا به على طريقتنا الخاصة؛ وكان لقاءً جنونياً بكل معنى الكلمة غنينا معاً ورقصنا معاً؛ وأكلنا معاً أيضا لكن ما أربكني في لقاء أمس هو طلبها – الغريب – أن نفعل ماتفعله أختها وداد مع حبيبها! صدمتني و ببلاهة سألت وماذا يفعلون؟ وببرائة وسذاجة معاً أجابت يحضنون بعض لوقت طويل؛ ويقبلوا شفاة بعضهم البعض..و...أقاطعها مندهشاً وكيف عرفتي أنهم يفعلون كل هذا؟

تقول لقد كنت معهم!.كنتِ معهم ماذا تفعلين..!؟

كنت أرافق أختي دائماً وهي تظن أني لا أعرف شيئاً كلهم يظنون بأني مريضة ؛ ولا أعرف شيء؛ وهكذا يعاملونني حتى كرهت حياتي بسببهم!. الآن عرفت سر تواطؤ أختها وداد معي وسر كتابة الرسائل وسر.. تقاطعني: ماذا جرى لك يا فادي لماذا أنت صامت؟

لا لا، فقط كنت أقول بأن أختك مع حبيبها يختلفون عنا..تسألني: بماذا يختلفون عنا..؟ أنهم مخطوبين وسيتزوجون؟!

تسألني وقد احتضنت يديها ورفعتهما إلى صدرها وأنت ألن تتزوجني؟! أنا.. أنا وأنتِ نعم سنتزوج ولكن لم أتقدم لأطلب يدكِ بعد ولم يحدث شيء..تسألني:

ومتى ستتقدم اذاً..؟

- امممم، سأتقدم لكِ عندما أجد الفرصة المناسبة..

ريلام تهدد:

- حسناً ولكن لا تتأخر وإذا تأخرت سأتقدم لك أنا!

أضحكتني؛ وعندما نظرت إليها أحسست بأن ضحكتي قد أغضبتها..فتوقفت عن الضحك بصعوبة وسألتها:

- مابك أيتها الجميلة؟ قالت:
- لم أقل شيئاً مضحكاً حتى تضحك هكذا!
- حسناً، أنا آسف
- لن أقبل حتى تأتي وتطلب يدي، عندها سأقبل اعتذارك..

أخذت يدها وقبلتُها، وهذا ما كنت أفعله دائماً، فقط أقُبل يدها وأحياناً جبينها..

هي لا تعلم أنني كنت أتمنى لو أقبل الكرسي الذي تجلس عليه؛ وأفعل معها أكثر مما تفعل أختها مع حبيبها؛ ولكني أحبها ولا أحب أن أستغل براءتها ؛ ولا أن أفسدها أو ألوثها بفعل ما..

لأني أحبها كنت أريدها أن تظل طاهرة ونقية حتى من قبلة اعتذار على الخد أو أي مكان آخر باستثناء يدها وجبينُها.

ليت العالم كله مثل ريلام وليت البشر بطيبة قلبها وبراءتها..

هي لا تعلم بأن البيوت الكبيرة والسيارات الحديثة والأرصدة الضخمة هي من تقرر كل شيء بالنيابة عنا.

هي لا تعلم بأن الناس لاينظرون إلى القلوب إنما إلى الجيوب.

ضحكت ووصفتني بالغبي عندما قلت لها بأننا لانملك ما يملكون؛ وبأنني من عائلة متواضعة ليس لها بيت كبيتهم ولاسيارات كسياراتهم؛ ولا أموال ولاخدم ولا حتى مكانة اجتماعية كالتي تحتلها عائلتهم الدبلوماسية (والدها) الدها والمالية (والدتها).

قالت: لقد أصبحت تفكر في المال فقط مثل أمي وصديقاتها!

قلت لها: لستُ أنا من يفكر بالمال ولكن أهلك إذا تقدمت إليهم أطلب يدك سيقولون ماذا أملك وأولهم والدتك.

تقول ريلام هذا الأمر لا يهم، المهم أنك تُريدني وأنا أريدك.قلت لها ليس الأمر بهذه البساطة يا ريلام أهلك لن يوافقوا لأني لا أملك إلا راتب متواضع لقاء عملي كحارس أمن منشآت ؛ ولن يكفي لأعيشك حياة تشبة الحياة التي تعيشينها معهم.

قالت بحنق: ومن قال لك أني أريد أن أعيش مثل هذه الحياة.. أنا أريد أن أعيش معك حياة مختلفة.

قلت لها أهلك يا ريلام لا يفكرون بهذه الطريقة.. قاطعتني لتقول: اسمع، لا تتحدث مع والدتي بهذا الأمر.

تحدث مع والدي عندما يعود بعد أيام؛ والدي مختلف عنها، وأنا متأكدة بأنه سيفهمني ويكون له وجهة نظر مختلفة عن والدتي.

مر أسبوعان وأنا أحاول فيه إقناع والدي ووالدتي لكن دون جدوى..وقررت بعد تشجيع من ريلام وأختها بأن أتقدم أنا لوحدي وأطلب يدها ولكن عندما يعود والدها من لندن، اليوم أو غداً سيكون في بيت ريلام، قالت لي ذلك بعد تأكيدات كثيرة بأن والدتها لن تعود إلى المنزل اليوم، ولن تتناول الغداء معهم، وافقت أنا بشرط أن تطلب مني ريلام إحضار شيءٍ ما معي. بعد تفكير طويل طلبت مني إحضار عصائر وبطاطس وأشياء خفيفه أخرى، لم أكن أنوي الجلوس بعد الغداء أيضاً؛ ولكنها خططت لهذه الجلسة الطويلة..

ومنعتني من الانصراف، استمرت جلستنا وضحكاتنا طويلاً.. وفجأة كدتُ أموت خوفاً، تبخرت الدماء من عروقي وتجمدت يداي على الكرسي؛ وأحسست بأن قدماي قد غُرست من مائة عام فوق هذا البلاط بحيث لم أستطع تحريكهما تصببتُ عرقاً وأنا أنظر نحو الرجل الذي يقف على بعد أمتار قليلة مني؛ وهو ينظر إليَّ

نظرة حادة لم أكن أرى مثل هذا الرجل إلا على شاشات التلفاز طويل القامة بجسم ممتلئ يلبس بذلة سودا ويحمل في يدة حقيبة سوداء ويضع على عينية نظارة سوداء ايضاً.. لم أستطع حتى تحريك لساني لأنبه ريلام إلى هذا الرجل القادم، استمرت هي في إلقاء النكت والضحك ضحك هستيري، بعدها بقليل انتبهت إلى أني لا أشاركها الضحك والكلام؛ والتفتت إلى المكان الذي تسمرت فيه عيني؛ وإذا بها تصرخ "بابا" وتجري وتتعثر وهي متجهة نحوه.

لقد كدت أغوص في الكرسي الذي أجلس عليه ؛وتمنيت تلك اللحظة لو تنشق الأرض وتبلعني؛ لكن ذلك الرجل كان طيباً إلى حد ما، نظر إلي شزراً واحتضن ابنته ريلام، لم يقل شيئاً ولم يتفوه بكلمة وإنما أخذها معه؛ وصعد بها إلى الطابق العلوي تتبعهم وداد؛ أما أنا فمكثت هناك بعض الوقت وحيداً في الصالة؛ وما إن شعرت أن الحياة قد عادت إليَّ وعادت الدماء لتتدفق في شراييني بعد أن تصلبت؛ وأصبحت قادراً على التحكم بحركة يدي ورجلي، بعد أن شلها شلل تمام رؤية ذلك الرجل الذي اتضح لي أنه والد ريلام، غادرت على الفور دون أن أخبر أحداً - بالأصح لم يكن هناك أحد لأخبره - وعدت إلى البيت وأفكار ومخاوف كثيرة تتزاحم في ذهني. ماذا سيحدث؟ وماذا سيفعل والدها؟

وماذا ستقول له ريلام عني؟ من أكون..؟ ولماذا أنا معها في بيتهم..؟!

سهرت إلى وقت متأخر وأخبرتهم أنني لن أذهب إلى الدوام ذلك اليوم؛ وتعذرت بأني مرهق وأشعر بالتعب ؛ورغم ذلك صحوت باكراً ومر الوقت ثقيلاً جداً حتى جاء المساء.

لم أستطع أن أمنع نفسي من الذهاب إلى ذلك الشارع وقفت في أطرافه ونظرت إلى بيتهم في آخر الشارع؛ ولكن لم أرَ أحداً على الشرفة حتى غرفتها كانت مظلمة؛ وغير مضاءة مثل كل يوم فازداد خوفي وقلقي عليها أكثر فقررت في اليوم التالي الذهاب إلى الدوام، وهذا ما فعلته لكنني لم أجد لها أثراً رغم أني تأخرت في العودة بعد انتهاء الدوام لعلي أراها.

مضت ثلاثة أيام وهي غائبة عني؛ ولم أجدها في الشرفة أو في أي مكان آخر؛ ولم أجد أيضاً من أسأله عنها وبعد أن ذهبت بي الظنون كل مذهب وقبل عصر ذلك اليوم بقليل رأيتها تُشرق عليَّ من شرفتها فأحسست أن الظلام انقشع وأن نورها يلفني؛ من شدة فرحي وقفت ومشيت نحوها بضع خظوات دون أن أدرك ذلك إلا بعد مغادرتها للشرفة، عندها عاد إليَّ عقلي الذي ثمل قبل قليل برؤيتها، نظرت إلى الوراء إلى البوابة

والكرسي الذي كنت جالساً عليه، سألت نفسي هل كنت جالساً فعلا هناك على الكرسي..؟ ما الذي أتى بي إلى هنا؟!

لو رآني أحد بهذه الحالة لظن بعقلي الظنون.

عدت إلى حالتي السابقة، ها أنا ذا أثمل من جديد برؤيتها؛ وهي تناديني وتُشير لي - تعال - من باب بيتهم الخلفي، ذهبت إليها بنفس الطريقة وكأنها مغناطيس وأنا قطعة من الحديد جذبتني إليها، لا أرى أحداً حولي وكان الوجود قد غاص في العدم ولا أرى فيه إلا ريلام وحدها.

تبدو سعيدة عكس توقعاتي كلها، تمنيت أن يطول لقاؤنا وأن تخبرني عن سبب غيابها واختفائها، كل هذه المدة لكنها لم تترك لي الفرصة، قالت لي وبسرعة والدي يريد أن يراك، وقد طلب مني أن أبلغك بذلك، ويقول لك أنت مدعوٌّ على العشاء الليلة.

حكم الطب على علاقتنا التي كنا نخطط لها بحكم الإعدام، أنتما لا تصلحان كزوجين وإلا ستنجبون أطفال بعاهات مختلفة هذا ماقاله الطبيب لي ولها بعد فحص الزواج الذي أصر والدها على قيامنا به لإتمام الزواج، كنت أنا وهي ننتظر نتائج الفحص والتحليل كمن ينتظر

أحب الناس إليه، يخرج من غرفة العمليات بعد إجراء العملية وعبوره مرحلة الخطر، لكن نحن لم نعبر هذه المرحلة لقد وقعنا في الخطر وغرقنا فيه.ريلام تبكي وتشهق بحرقة في أحضان وداد؛ وتقول لا نريد أطفالاً، ليس مهماً هذا الامر بالنسبة لنا..

أما أنا فبهدوء كانت تنساب دمعاتي لتودع حلماً جميلاً كان قاب قوسين مني، كنت على استعداد أن أتخلى عن حلم الأبوه مقابل أن يتحقق حلمي معها؛ وتصبح زوجتي.

لكنني لم أفهم حتى الآن كيف نسيت هذا الأمر رغم ماقالته ريلام في حينها من أنها لا تريد أولاداً، إذا كان هذا سيقف عائقاً أمام زواجنا؛ والأكثر غرابة من ذلك أن ريلام نفسها نسيت أيضاً!

بعد فترة ليست بالقصيرة اتضح لي كل شيء، إنه والدها ذلك الرجل الطيب الذي استقبلني بابتسامة ذلك اليوم على العشاء؛ وكان بشوشاً يلقي النكات ويضحك طوال الوقت ليذهب عني القلق والخوف ولأشعر بالارتياح في تلك الجلسة معه، وهذا ما حصل بالفعل لقد شاركتهم الحديث بعد أن كنت أجاوب على الأسئلة المطروحة عليَّ فقط دون زيادة، بعد ذلك أصبح الجميع يضحك وكل واحد يُدلي بدلوه في هذه الأمسية، إما بنكتة جديدة

لم نسمعها أو بقصة أو حتى موقف مضحك، بعد ذلك قال لي وأنا أجلس بجانبة أني معجب بك وبشجاعتك، لم أكن متأكداً من أنك ستحضر الليلة، لم أقل شيئاً كنت أبتسم له فقط؛ وأشرب أي شيء تقع عليه يدي حتى أتظاهر بأني مشغول؛ وهو مازال يُكيل لي المديح؛ ويقول لقد أخبرتني ريلام الكثير عنك وأنا لا ألومها على تعلقها بك؛ وما يُحزنني هو موقف والديك من هذا الأمر. هل صحيح أنهم رفضوا المجئ معك لخطبة ريلام؟

شرغت بالمشروب الذي كنت أشربه؛ ولم أجد أي كلمة أفسر و أبرر بها موقف والدي ووالدتي، لكنه لم ينتظر إجابة مني.

لقد كان ذكياً جداً حيث واصل قائلاً لا عليك، سيوافقون مع الأيام؛ ولكن إذا كنت صحيح تريد خطبة ريلام فالأفضل أن تتقدم الآن وأنا موجود، لأنني سأعود بعد أيام قليلة إلى عملي في لندن؛ وهذا أفضل لك ولها ولي أيضاً، حتى تستطيع دخول البيت في أي وقت تشاء دون أن يُثير ذلك ريبة أحد.

يالدهاء هذا الرجل الطيب – الدبلوماسي - عندما سألني: هل تريدها حقاً ؟

وتلعثمت وأنا أقول : نعم.

التفت إلى ريلام وسألها: هل أنتِ موافقة؟

هزت رأسها إيجاباً ووضعت يديها على وجهها ودفنته في أحضان والدتها.فضحك الجميع.. فقال والدها: إذاً على بركة الله، سنعلن في البداية الخطوبة بعدها أسافر أنا لأتابع أعمالي، وأنت قم بترتيب أوضاعك مع أهلك؛ وحينما أعود إلى هنا في المرة القادمة نقيم عرساً لكما.

كدت أطير من الفرح ووددت لو أستطيع أن أراقص ريلام في تلك اللحظة غير أن شرطه ذاك نغص الفرحة، استمر في الكلام حيث قال: ولكن قبل أن نبدأ بعمل أي شيء يجب أن يخضع العروسان للفحص – فحص ماقبل الزواج – وأكد أكثر من مره بأنه ضروري؛ ووافقته أم ريلام على ذلك وأضافت يجب أن يذهبا للمستشفى لعمل التحاليل اللازمة.

أحسستُ بعد هذه الفرحة بأن قلبي انقبض مع أن ريلام كانت تطمئنني دائماً وتقول بأن لا شيء سيحدث.

واتجهنا بعد أيام إلى المستشفى لإجراء الفحوصات وكانت النتيجة سوداوية؛ إذ اجتمع بنا الدكتور- أنا وريلام - ؛وأخذ يشرح لنا خطورة إن قررنا الزواج وأن

هناك احتمال كبير بأن يولد الأطفال مصابين بأمراض وراثية مختلفة!!

ومن هذا الباب كان رفض أهل ريلام لطيفاً ولبقاً ومهذباً ومحترماً..أو قل ما شئت عن هذا الرفض – الدبلوماسي– وهكذا كان تعاملهم مع قصتنا دبلوماسي حتى اقتنعت، واقتنعت ريلام بتغيير بوصلة علاقتنا من زواج إلى صداقة وأخوة؛ وأول شي قاموا بفعله هو إبعادها عني حيث نقلت العائلة كلها إلى لندن؛ وفي حديث - خاص - قال لي والدها أنت تعرف مرضها؛ وأريد أن آخذها معي من أجل تأهليها بشكل أفضل على أيدي أطباء ومدرسين ذو كفاءة عالية؛ وأريد منك مساعدتي في إقناعها - وهذا ماقمت به- برغم طيبة والدها الذي دعمني كثيراً وفتح لي باب بيته بل وسلمه لي في غيابه، وأصبحت موظفاً عنده براتب لم أكن أحلم به إلا أن الأيام أتثبت لي أن ما حدث كان خدعة دبلوماسية وقد نجحت بامتياز، فقد قرر منذ البداية أن يفرقنا ولكن بطريقة جميلة لاتؤذي ريلام ولا تجرح مشاعرها - أنا لستُ مهماً بالدرجة نفسها- ، فبعد أن عرف تعلقها بي وتعلقي بها وبأننا قد قررنا الارتباط، رتب هذه الخطة مع زوجتة بحيث يبدو كل شيء طبيعياً، ثم كان ما كان.

لقد كانت دائمة الإقامة في لندن، ولا تحضر إلى هنا إلا مرتين في العام ولا تمكث الا ايام قليلة حالتها تحسنت كثيراًوهي في تحسن مستمر تغيرت فيها أشياء كثيرة - إلا براءتها وقلبها- وقد تزوجت بابن أحد الدبلوماسيين هناك، وتلقيت الدعوة ولم أحضر.. قالوا بأن علاقتنا تحولت وتغيرت لكن لم أجد أي تغير في ريلام ومشاعرها، كانت ولا زالت كما عرفتها - ريلام الحبيبة- إنها تناديني: العشاء جاهز وعندما تأخرت أقبلت ببطنها المنتفخ بالمولود الثاني؛ وعندما رأيتها مسحت دمعي وأخفيت صور ريلام التي أشاهدها للمرة الألف فزوجتي وداد تغار منها كثيراً.

❊ ❊ ❊

للتواصل مع الكاتب

محمد اليماني

mohammed.yn@hotmail.com

obeikan.com

الفهرس

إهداء 5
خاتمة مسفر..... 7
أحزان لا تنتهي 17
عبير تحرق أختها 35
يوميات بائع ورد 46
ريلام 68

obeikan.com

الإسكندرية ج. م. ع

(+2) 01018831361

(+2) 03/ 5765777

حسناء للنشر والتوزيع

opeikan.com